

أ.د. عبد الكريم بكار

بية الرشيدة (٥)

مشكلات الأطفال

« تشخيص وعلاج لأهم عشر مشكلات »



نا أن ننظر إلى تربية الأبناء
ها اختبار وأن نعقد العزم على
لنجاح في ذلك الاختبار.

• تخليص الأطفال من مشكلاتهم يحتاج من الأبوين إلى المعرفة والصبر.

• كثير من مشكلات الأطفال لا يحله الزمن إلا بعد أن يترك في نفوسهم ندوباً عميقة.



مشكلات الأطفال

«تشخيص وعلاج لأهم عشر مشكلات يعاني منها الأطفال»

أ. د. عبدالكريم بكار

مشكلات الأطفال

«تشخيص وعلاج لأهم عشر مشكلات يعاني منها الأطفال»

أ. د. عبدالكريم بكار

الطبعة الثالثة

1432 هـ - 2011

ح/ دار وجوه للنشر والتوزيع ١٤٣٠هـ.

فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر

بكار، عبد الكريم محمد الحسن

مشكلات الأطفال (تشخيص وعلاج لأهم عشر مشكلات يعاني منها الأطفال) .

/ عبد الكريم محمد الحسن بكار

الرياض، ١٤٣١هـ. ٦٩ ص؛ ٢١سم

ردمك: ٥-١٠-٨٠٦٥-٦٠٣-٩٧٨

١- علم النفس النمو ٢- علم نفس الطفل أ. العنوان.

ديوي ١٥, ٣٧٠ ١٤٣٠/٨٣٣٣

رقم الإيداع: ١٤٣١/٢٢٦٢

ردمك: ٥-١٠-٨٠٦٥-٦٠٣-٩٧٨

التنفيذ الفني والنشر والتوزيع



دار وجوه للنشر والتوزيع

Wojooh Publishing & Distribution House

www.wojoooh.com

المملكة العربية السعودية - الرياض

ت: 4918198 فاكس: تحويلة 108

للتواصل والنشر:

wojoooh@hotmail.com



مؤسسة الإسلام اليوم

إدارة الإنتاج والنشر

المملكة العربية السعودية الرياض

ص.ب. 28577 الرمز : 11447

هاتف : 012081920

فاكس : 012081902

info@islamtoday.net

www.islamtoday.net

تحميل المزيد من الكتب : Buzzframe.com



تمهيد

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على نبينا محمد إمام النبيين وخاتم المرسلين ، وعلى آله ومن والاه إلى يوم الدين وبعد :

فهذا هو الجزء الخامس من سلسلة ((التربية الرشيدة)) وقد كان الجزء الأول بعنوان : ((مسار الأسرة)) وكان الثاني بعنوان: ((القواعد العشر)) أما الثالث فقد كان بعنوان : ((التواصل الأسري)) وكان الرابع بعنوان : ((المراهق)) وقد رأيت تخصيص هذا الجزء للحديث عن أهم مشكلات الأطفال التي يعاني منها الأطفال وكثير من الآباء والأمهات بغية توفير ثقافة تربوية تساعدهم على فهم تلك المشكلات والتعامل معها ، ولعلي أشير في هذا التمهيد إلى بعض النقاط الجوهرية في هذا الشأن، وذلك من خلال الآتي :

١ـ ليس من السهل رسم الخط الفاصل بين وضعية الطفل السويِّ ووضعية الطفل الذي يعاني من مشكلة عضوية أو نفسية ، وعلى سبيل المثال فإن نشاط الطفل يُعدُّ مؤشراً على حيويته وصحته ، لكن هذا النشاط حين يزيد زيادة كبيرة يصبح في حيز الأمراض التي تحتاج إلى علاج ، ومن الصعب على الأهل العاديين إدراك النقطة التي يتحول

لديها السلوك من شيء ممدوح إلى شيء ينبغي السعي إلى التخلص منه، ومن هنا فإن إجراء مقارنة بين الطفل الذي نشتبه بأنه غير سوي وبين عدد من أطفال الأقرباء والأصدقاء ، يقدِّم درجة حسنة من البصيرة ، ولكن علينا أن نكون دائماً على استعداد لمشاورة طبيب أو معالج نفسي حين نشعر أن الوضع خارج نطاق الطبيعي والمألوف ، ولعل هذه المشكلة من أكثر ما يؤرّق الآباء ، ويوقعهم في الحيرة

٢ـ يمكن أن نتعرف على ما لدى الطفل من مشكلات سلوكية بإحدى وسيلتين :

الأولى : ما نلاحظه من شدة ندرة السلوك ، كما لو أن ابن العاشرة قضم أذن أخيه الصغير ، أو صار يعاني من فقد الشهية للطعام ، أو من عدم القدرة على النوم ....

الثانية: تكرار السلوك، وذلك مثل ضعف الانتباه والتركيز لدى الطفل على نحو مستمر ، ومثل إكثاره من أكل الطعام أو إظهار قدر شديد من الأنانية في التعامل مع الآخرين ، ومثل تجنب الظهور أمام الضيوف على نحو حاسم .

أما إذا فقد السلوك غير السويِّ الصفتين معاً (الشدة والتكرار) فإن علينا أن ننظر إليه على أنه هفوة أو غلط عابر ، قد لا يستطيع النجاة منه الكبار فضلاً عن الصغار . إن القراءة الواسعة حول مشكلات الأطفال سوف تمكِّننا ـ بإذن الله ـ من معرفة الحالات التي تستوجب فعلاً طلب المساعدة من طبيب أو مرشد أو صديقٍ صاحب تجربة في تربية الأطفال ...

٣ـ التخلص من المشكلات النفسية وتعديل السلوك وتغيير العادات من الأمور المعقَّدة ، وسبب تعقيدها هو الفروق الفردية الواسعة بين

الأطفال على صعيد الاستجابة للعلاج الواحد ، كما أننا معاشر المربين متفاوتون في ثقافاتنا ووضعياتنا ، وهذا كله يؤدي إلى أن النصيحة التربوية قد تجدي نفعاً مع طفل من الأطفال ، وتكون عديمة الفائدة مع طفل آخر ، وكثيراً ما أُستشار في بعض مشكلات الأطفال ، فأقول ما أراه ، ويفاجئني السائل بأنه قد جرَّب ما أقوله له مرات عديدة لكن ولده لم يتغير ، بل ربما سمعتُ من يقول : إن حالة ابنه ساءت بعد تطبيق بعض النصائح ، ومن هنا فإن من المهم أن يكون لدينا عدد من الحلول للتعامل مع كل مشكلة ، وسيكون علينا تجريبها جميعاً حتى نساعد الطفل على الخلاص مما يشكو منه ، أو نشكوه نحن منه .

٤ ـ لدينا ما يشير إلى أن من الطبيعي أن يكون لدى الطفل في الخامسة أو السادسة من عمره أربع أو خمس مشكلات، مثل العناد والغضب بسرعة وفرط الحركة والإعراض عن العديد من أنواع الطعام ، وحين يكبر قليلاً فإن عدد هذه المشكلات يتراجع بسبب الوعي المتنامي للطفل وبسبب تعرفه على المزيد من المفردات التي تتعلق بما هو غير لائق وغير مقبول في السلوك الاجتماعي ، ولهذا فإن صبر الأبوين هو جزء من الحل في أحيان كثيرة ، ويبدو لكثير من الباحثين أن المشكلات السلوكية عند الإناث أقل مما هو موجود عند الذكور ، ولهذا فتربية البنت كثيراً ما تكون أسهل من تربية الابن ، وحين يصبح الولد في مرحلة المراهقة فإن معاناة أهله معه قد تتضاعف على نحو أكثر بكثير مما قد يجدونه في تربية المراهِقة .

٥ـ ترسَّخ في الوعي الشعبي أن كل المشكلات التي يعاني منها الأطفال تزول على نحو طبيعي حين يكبرون ، أي إن الناس ينظرون إلى مشكلات الأطفال على أنها طبيعية ، ولهذا فإنها لا تحتاج إلى علاج،

وهذا على إطلاقه غير صحيح ، فبعض مشكلات الأطفال يستمر معهم إلى الكبر، بل يتطور إلى الأسوأ مع مرور الأيام ، وبعضها لا ينتهي حتى يترك جروحاً وندوباً نفسية عميقة ، وقد رأيت أحد المراهقين الذين أهمل أهلوهم معالجتهم من التبول اللاإرادي ، رأيته وقد حطَّم ذلك نفسه وأذلَّه أمام زملائه حين أصبح ينام في سكن إحدى الجامعات ، ولهذا فلا يصح النظر إلى أي مشكلة من مشكلات الأطفال باستخفاف، ولا سيما إذا بلغت مستوى عالياً من الشدة .

٦ـ تتفاقم بعض المشكلات لدى كثير من الأطفال بسبب الذين يربونهم ، وعلى سبيل المثال : فإن الطفل العدواني يتمادى في التخريب وفي إيذاء إخوته إذا لم يتبين له أن في بيته أباً حازماً يقود ذلك البيت ، ويطلب من الجميع أن يذعنوا لقواعد التعايش فيه ، يجب أن يعرف الطفل أن في المنزل من يقول (لا) ومن يتابع ويعاقب ويحرم من بعض الأشياء المحبَّبة .

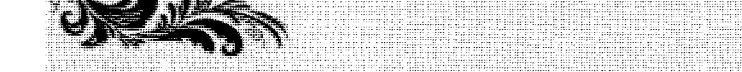
٧ـ إن من صفات القائد الجيد أنه واضح في تعابيره ومحدد ، ويتكلم بشكل موجز وحازم ، وهذا ما ينبغي أن يتجلى في سلوك الأب مع أولاده ، أحد الآباء قال : لأبنائه : ما رأيكم ، ألم يحن وقت النوم ؟ وكان الجواب من أحدهم : بقي ساعة يا أبي . وقال الثاني : اليوم خميس ، وغداً إجازة ، ولهذا فقانون النوم الساعة التاسعة لا يسري علينا اليوم . وقال الثالث : أبناء جيراننا لا ينامون إلا الساعة العاشرة، فلماذا ننام نحن في التاسعة ؟ !

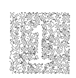
هذه الاعتراضات سببها الأسلوب الرخو الذي اتبعه الأب في مخاطبة أولاده ، كان عليه أن يقول : بعد عشر دقائق سيحين وقت النوم ، وأرجو أن تتوجهوا الآن إلى غرفكم .

٨ ـ أنا في هذا الجزء من من هذه السلسلة سأسلك المسلك نفسه الذي سلكته في الأجزاء السابقة، حيث إنني سأحاول استخدام أبسط أسلوب ممكن مع المحافظة على عمق الأفكار والعمل على جعلها عملية قدر الإمكان ، وسوف أتجنب المصطلحات الفنية ، وإن كنت أحرص دائماً على المحافظة على الأساس العلمي لكل ما أقول ، كما أنني سأحرص على ذكر الأسباب التي تولِّد المشكلات التي سأتحدث عنها ، وحين أقول: المربي أو الأب فإنني أقصد أيضاً الأم ، وحين أقول: الابن أو الطفل أو الولد أو الصغير ، فأنا أقصد الذكور والإناث جميعاً، وسأحدد كل ما ينبغي تحديده على صعيد المربين والمتربين .

وإني لأسأل الله ـ تعالى ـ بأسمائه الحسنى وصفاته العليا أن يبارك في هذا الجهد ، وينفع به الأمة ، وأن يجعله في موازين حسناتي في يوم لا ينفع فيه مال ولا بنون؛ والحمد لله رب العالمين .

أ . د . عبد الكريم بكار
في ٥/ ٢/ ١٤٣١





الكذب

مشكلة الكذب من أكبر المشكلات التي يقع فيها الأطفال ، ويزداد خوفنا حين ينتشر الكذب بين الكبار ، لأن ذلك يشبه الوباء حين ينتشر بين الأطباء!. حين تصبح طموحات الناس أكثر دنيوية ، وحين تسوء الظروف الاقتصادية ، فيصبح الحصول على لقمة العيش عسيراً، فإن لنا أن نتوقع اتساع رقعة الكذب وتكاثر المبتلين به ، وهذا ما نشاهده اليوم . ومن هنا فإنني أعتقد أن تحجيم مساحة الكذب في المجتمع سيظل مرتبطاً بما يمكن أن نُحدثه من تقدم حضاري حقيقي وشامل.

تعريف الكذب :

حين نتحدث عن كذب الأطفال ، فإننا نقصد مخالفة كلام الإنسان لما يعتقده بقصد التضليل وإخفاء الحقيقة ، وذلك كما لو أن ابن العاشرة أراق الحبر على قطعة من أثاث المنزل ، وحين سئل عن ذلك نفى أن يكون قد قام به ، أو يكون عارفاً بمن قام به .

خطورة الكذب :

تشمئز النفوس من الكذب لأمرين أساسيين :

الأول : هو أن الكذب كثيراً ما يكون من أجل التستر على جرم أو خطأ أو تقصير أو عيب ، وهذا يعني بوجه من الوجوه أن الكذب يجعل صاحبه يستسهل الوقوع في الخطأ ما دام قد وجد في الكذب ما يُنجيه من تحمل عواقبه ، وبذلك يكون إدمان المرء للكذب مفتاحاً لانحراف كبير وشرٍ مستطير ...

الثاني : وجود علاقة كبيرة بين الكذب والغش والسرقة والتزوير، فقد دلَّ كثير من الدراسات على الجرائم التي يرتكبها الأحداث على أن من اتصف بالكذب يتصف عادة بالغش والسرقة ، ولا غرابة في هذا فهذه الصفات السيئة متفرِّعة من صفة أكبر دلالة هي صفة (الخيانة) خيانة الحقيقة والعقيدة والمواثيق .
من هنا ندرك تشديده ـ عليه الصلاة والسلام ـ قولاً وعملاً على أهمية اجتناب الكذب لدى الصغار والكبار ، فقد روي عن عبد الله بن عامر ـ رضي الله عنه ـ أن أمه دعته ، فقالت له : تعال أعطك ، فقال ـ صلى الله عليه وسلم ـ: ((ما أردت أن تعطيه)) ؟ قالت : تمراً، فقال لها رسول الله : (أما إنك لو لم تعطه شيئاً لكتبت عليك كذبة) وقالت عائشة ـ رضي الله عنها ـ :((كان رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ إذا اطَّلع على أحد من أهل بيته كذب كذبة لم يزل معرضاً عنه حتى يحدث توبة)) إنه موقف عملي فيه الهجر والإعراض والتعبير عن عدم الرضا ، وهذا ما على كل رب أسرة أن يقوم به

لماذا يكذب الطفل ؟

علينا في البداية أن نؤكد على أن الكذب ليس صفة فطرية أو وراثية

لدى الطفل ، أي أنها صفة مكتسبة تتكون لدى الطفل عن طريق التعلم والتقليد وتراكم الخبرة ، وهذا يعني أن فشوَّ الكذب بين أفراد أسرة من الأسر أو مجتمع من المجتمعات، يشير إلى نوع من الإدانة للكبار والناضجين في تلك الأسرة وذلك المجتمع ، لكن مع هذا يمكن أن نقول : إن الطفل يمكن أن يكون أكثر استعداداً لممارسة الكذب في حالتين أساسيتين :

١ـ القدرة اللغوية ، فطلاقة اللسان والمهارة في صياغة الجمل تدفع بالطفل إلى أن ينطق بالمزيد من الكلمات من غير التأكد من مدى مطابقة ما يقوله للواقع ، ومن المؤسف أن هذا قد يستمر مع بعض الأطفال إلى مرحلة الشباب والكهولة ، فالقدرة على تنميق الكلام والقدرة على الإقناع تغريان من يملكهما بالكذب على نحو خفي !.

٢ـ خصوبة الخيال ونشاطه ، وهذا واضح جداً لدى الأطفال ، هذا طفل يقول : إنه رأى قطة لها قرون ، وقد كان هذا بعد أن رأى خروف العيد ، حيث تمكن خياله من انتزاع قرون الخروف وتركيبها على رأس القطة .

بعد هذا يمكن أن نذكر عدداً من الأسباب التي تدفع الطفل إلى الكذب ، ولعل من أهمها :

١ـ الخوف من العقاب والخوف من المنع من الوصول إلى بعض الأشياء من أكثر ما يدفع الطفل إلى الكذب ، وقد أشارت إحدى الدراسات إلى أن حوالي (٧٠٪) من أنواع السلوك لدى الأطفال الذين يتصفون بالكذب يرجع إلى الخوف من العقاب ، وأن (١٠٪) منها يرجع إلى أحلام اليقظة والخيال ، ويرجع نحو من (٢٠ ٪) إلى

أغراض الغش والخداع.

٢-أشار معظم الدراسات المتعلقة بسلوك الأطفال إلى أنه كلما ازدادت قسوة الآباء والأمهات ، ولجؤوا إلى الضرب والعقاب لحمل الطفل على قول الصدق والإقرار ببعض الأخطاء-لجأ الأطفال إلى الكذب، ومن ثم الصيرورة إلى إدمانه ، وهذا يعود إلى عامل الخوف، لكنه يحمِّل الآباء القساة مسؤولية انحراف أبنائهم ، فالرفق- كما علمنا نبينا صلى الله عليه وسلم-ما كان في شيء إلا زانه ، وما نُزع من شيء إلا شانه .

٣- قد يكذب الطفل حتى يُحدِثَ لذة ونشوة عند مستمعيه، وحتى ينتزع إعجابهم، وذلك كأن يفاخر بثياب نفيسة ليست عنده ، أو يدعي أن لديه قدرات خارقة في ممارسة بعض الألعاب...

٤-الكذب بقصد الحصول على بعض الأشياء ، ومن الصور الشائعة لهذا أن يدعي الطفل أن معلِّمه في المدرسة طلب منه شراء بعض الأدوات ، والحقيقة أنه يريد المال لشراء بعض الحلوى أو بعض الألعاب .

٥- قد يكذب الطفل لدافع عدواني ، وكيدي كما لو كسرتْ تحفة نفيسة في المنزل ، ولم تستطع الأم معرفة الفاعل ، فقال لها الطفل : الذي كسرها هو فلان ، مع أنه في الحقيقة لا يعرف من فعل ذلك ، ولكن حبه لإيقاع العقوبة به دفعه إلى الكذب .

٦-كذب التقليد فالكذب-كما أشرنا-صفة مكتسبة ، والطفل الكذاب كثيراً ما يقلد أبويه أو إخوته الكبار أو بعض زملائه وأصدقائه ، وقد ذكر أحد الشباب أنه كان يعتقد أن كل ما يفعله أبوه صحيح وصائب، وأنه تعلَّم الكذب من أبويه ، ففي مرات عديدة ، أوهماه بأنهما نائمان

حتى ينام ، ويخرجا بعد ذلك في زيارة إلى بعض الأصدقاء ، وذكر أن والدته قالت له مرة: تعال معي إلى مدينة الملاهي ، وذهب معها مسروراً ، وإذا به يجد نفسه على كرسي في عيادة الأسنان!.

كيف نعالج الكذب عند الأطفال ؟

١ـ الكذب عند ابن أربع أو خمس سنوات ، لا يشكل شيئاً مقلقاً، وذلك لأن الطفل في هذه المرحلة لا يستطيع التمييز بين الخيال والواقع ، ولا يدرك ضرورة مطابقة ما يقوله لواقع الحال .

٢ـ حاول ألا تحشر الطفل في زاوية ضيقة ، وتطلب منه الاعتراف بجرم ارتكبه أو خطأ وقع فيه ، واعمل على توفير أدلة يجد معها صعوبة في الشهادة ضد نفسه .

٣ـ يكذب الطفل في بعض الأحيان حتى يُثبت لنفسه فضائل ليست له ، وذلك حتى يعوِّض عن شعوره بالنقص ، وقد رأينا ـ على سبيل المثال ـ الكثير من الأطفال الذين يحاولون إثبات أن آبائهم أغنياء، وما ذلك إلا لشعورهم بأنهم فقراء ، ومن هنا فإن تعزيز ثقة الطفل بنفسه، مما يقلل من لجوئه إلى الكذب .

٤ ـ لن يلتزم الأطفال بالصدق في أسرة يكذب فيها الأب على الأم والأخ الكبير على الأخ الصغير، وتكذب فيها الفتاة على زميلاتها ، ولهذا فإن الالتزام بقول الحقيقة والدفاع عنها يجعل الكذب يبدو شيئاً شنيعاً في نظر الأطفال ، وهذا أكبر تحدٍ يواجهنا في هذه المسألة .

٥ـ كثيراً ما تنطوي المبالغة على الكذب ، وقد قال أحد الشباب: كنت أسمع والدتي وهي تتحدث مع صديقاتها عن وظيفة أبي، وأنه يشغل مركزاً حساساً جداً ، وأن مركزه ذاك يضطره إلى أن يسافر

كثيراً ، وكنت أقول لزملائي في المدرسة نفس الكلام الذي تقوله أمي ، وكانوا يغبطونني على ذلك ، وحين صرت في المرحلة الثانوية حصلت لي صدمة كبيرة حين اكتشفت أن أبي لم يكن أكثر من مرافق لأحد رجال الأعمال ، المكثرين من السفر!.

٦ـ يجب أن يشعر الطفل أن الصدق قيمة من القيم الإسلامية العليا، ويكفي في ذلك قوله ـ صلى الله عليه وسلم ـ : ((إن الصدق يهدي إلى البر)) والبر اسم جامع لكل أنواع الخير ، كما أن علينا أن نُظهر له مقتاً للكذب، وخوفنا من عواقبه، وكانت إحدى الامهات قد حفظت أكثر من عشرين قصة تجلِّي فيها المصير السيَّئ للكذابين، وكانت تسوقها بطريقة بارعة ومشوقة للغاية، وكان الأطفال يلاحقونها حتى تحدثهم بالمزيد من ذلك ، ولاحظت أن طفلها ابن التاسعة جعل من نفسه مراقباً عاماً على الأسرة ، فهو يتابع كل ما يقال وينبه على ما يمكن أن يكون فيه من مخالفة للحقيقة .

٧ـ من المهم ألا نعطي الطفل انطباعاً بأن الكذب يُنجيه من العقوبة ، بل علينا أن نقرر له بوضوح أن الصدق يخفف من عقوبة الخطأ الذي ارتكبه ، وأن إخفاء الخطأ الذي وقع فيه ، يستوجب عقوبتين : عقوبة الخطأ وعقوبة الكذب في التنصل منه .

٨ـ قد لا نستطيع معالجة الكذب لدى الطفل إلا إذا عرفنا السبب الحقيقي الذي يدفعه إليه ، فإذا كان السبب هو الخوف من العقوبة خفَّضنا العقوبة ، وأعطينا الطفل قدراً جيداً من الشعور بالأمان مع العمل على إقناعه بخطورة التمادي في ارتكاب الأخطاء ، وإذا كان الدافع إلى الكذب هو التقليل من شأن الآخرين ، ذكَّرناه بأهمية الإنصاف والتشجيع والاحترام المتبادل ، وإذا تبين لنا أن الطفل

يكذب لأنه يقلِّد أحد أفراد أسرته الكبار وقفنا وقفة صادقة مع أنفسنا، وعملنا على تحمل مسؤولياتنا في استقامة ألسنتنا، وإذا كان سبب اندفاع الصغير للكذب يكمن في شعوره بالنقص أو الحرمان، عملنا على تعزيز قيمة الثقة بالنفس والاعتراف بالواقع، وعملنا على دلالة الطفل على نقاط القوة والتفوق لديه ولدى أسرته وهكذا ...

٩- الحذر ثم الحذر من أن نرسِّخ في وعي الطفل أنه كذاب، وأننا نعرف كل الكذبات التي صدرت منه، فهذا يحمله على الإكثار من الكذب، المطلوب هو أن نثني أمامه على الصادقين وأن نشجِّع كل موقف صدق نلمسه منه، ونحاول إشعاره حين تصدر منه كذبة، أنه صادق وأنها كانت منه عبارة عن هفوة، ونأمل أن لا تتكرر مرة أخرى، وقد رأيت كثيراً من الآباء الناجحين في تربية أبنائهم وهم يعملون بجد على أن تظل الصورة التي يرسمها أبناؤهم عن أنفسهم صورة جميلة ومتألقة ومشجعة .وقد قطفوا ثمار ذلك حين صار أطفالهم يستحون من أنفسهم ويتجاوبون سلوكياً مع الثناء الذي يتلقونه من محيطهم .





ضعف الرغبة في الدراسة

لو عدنا مئة سنة إلى الوراء لوجدنا أن علاقة التحصيل العلمي المرموق بكسب الرزق لم تكن واضحة بالقدر الكافي بسبب شيوع الأمية وضعف مساهمة المعرفة في المنتجات المختلفة ، أما اليوم فقد أصبح التزود بالمزيد من المعارف والخبرات واكتساب المزيد من المهارات ، هو المدخل الوحيد لرقي الأفراد والأسر والشعوب ، ومن هنا فإن عدم امتلاك الطفل لدافع قوي إلى تحصيل علمي جيد ، هو عبارة عن مشكلة كبرى لأسرته ، وأعتقد جازماً أن مغادرة طفل في الصف الخامس الابتدائي للمدرسة والدراسة يُلحق به من الأذى والأضرار بمستقبله ما يزيد على قطع يده أو فقده للسمع بإحدى أذنيه ... ولهذا فإني أهيب بالآباء والأمهات أن يولوا مسألة تفوق أبنائهم في الدراسة ومسألة إكمال تعليمهم إلى نهاية السلم كل اهتمامهم وعنايتهم، وأحثهم على أن يكونوا كرماء في البذل في تدريس أبنائهم في أفضل المدارس المتاحة، وأود أن أؤكد قبل كل شيء على أن رغبة الأطفال في التفوق الدراسي ومواصلة التعليم ، تُصنَع صناعة من قبل الأسر المهتمة والحريصة على مستقبل أبنائها ، ولهذا فإن إعراض الأطفال عن تحصيل العلم هو ثمرة للبيئة المريضة و السيئة التي نشؤوا فيها،

أو ثمرة للمدارس الضعيفة والمتهالكة التي ينتسبون إليها.

ما المقصود بضعف الرغبة في الدراسة ؟

كثيراً ما تختلط الرغبات والدوافع ، فنعبِّر ببعضها عن البعض الآخر، ومن حيث المبدأ فإن جميع الصغار والكبار يتمنون لأنفسهم التفوق والنجاح والبروز الاجتماعي ،لكن الأمنيات والأحلام تظل أقرب إلى الأوهام ما لم تتحول إلى رغبات مقلقة ، وتتحول إلى دوافع محرِّكة، الدافع هو طاقة كامنة لدى الطفل تحركه في اتجاه سلوك معين ، إن الطفل في حاجة إلى دافع كي يسعى إلى التحصيل العالي وكي يؤدي متطلبات التفوق الباهر ، وهو بحاجة إلى دافع يجعل سعيه في سبيل ذلك مستمراً ، وما منا إلا وقد رأى أطفالاً مندفعين إلى تحصيل العلم في السنوات الأربع من دراستهم الابتدائية ، وبعدها أخذت عزائمهم تفتر ، وأخذت درجاتهم في المواد الدراسية المختلفة في الانخفاض ، وما ذلك إلا لأنهم فقدوا الطاقة التي تحملهم على بذل الجهد من أجل تعلم جيد ومثمر .

مظاهر ضعف الرغبة في التعلم :

١ـ رسوب الطفل في جميع المواد ورسوبه في مادتين فأكثر على نحو مكرر .

٢ـ تباطؤ الطفل في كتابة الواجبات المدرسية حيث يشكو كثير من الآباء والأمهات من أن أطفالهم لا يقومون بأداء ما طلبه منهم معلموهم إلا بعد الإلحاح والمتابعة ، وحين يقومون بذلك فإنهم يُظهرون الكثير من التبرم والضيق ، ويضاف إلى هذا الأداءُ الناقصُ للوظيفة ، وكم من

طالب يُكلَّف بحل خمسة تمارين في مادة الرياضيات ، فيحل اثنين أو ثلاثة ، ويترك الباقي !

٣ـ الحصول على درجات متدنية في ثلاث مواد فأكثر .

٤ـ البحث عن أعذار تتيح له الغياب عن المدرسة ، فالطفل غير الراغب في الدراسة يتعلل يوماً بألم في ضرسه ويوماً بوجع في معدته، وفي يوم ثالث يقول : سمعت أن المدرس لن يحضر اليوم ، ويدعي في يوم رابع أن لدى المدرسة حفلاً ، ولن يكون مطلوباً من أي طالب كتابة أي واجب ....

٥ـ أحياناً يكون ذكاء الطفل عالياً ، أو تكون الدراسة في المدرسة التي يدرس فيها سهلة وقليلة الأعباء ومن ثم فإن الطفل ينجح بتفوق من غير أن يظهر لديه أي رغبةٍ في المطالعة أو تعلق بالكتاب ، وهذا الأمر لا يزعج الأهل في العادة لكنه يرسل بإشارات سلبية ، حيث إن الشغف بالتعلم والحصول على المعارف شرط للتفوق الباهر .

كيف نعالج ضعف الرغبة في الدراسة ؟

١ـ من المهم أن أؤكد المرة تلو المرة على أن الرغبة في التعبد وعمل الخير وطلب العلم ... تُصنع صناعة من قبل الأسرة ، ويكتسبها الأطفال من أسرهم ومعلميهم ... وإنما أوكد على هذا المعنى ليعلم الآباء والأمهات أن ضعف الدافعية لدى أبنائهم إلى التعلم والتفوق في الدراسة هو ـ في الغالب ـ بسبب تقصيرهم في توجيه أبنائهم أو بسبب أخطاء ارتكبوها خلال تربيتهم لهم .

٢ـ الجو الأسري المحفز على التعلم قد يكون أهم ما على الأسر توفيره لأطفالها ، وقد شرح أحد الفتيان أسباب حصوله على المركز الأول

في الثانوية العامة على مستوى القطر ، فقال : إن الإنجاز الذي حققته كان مفاجئاً بالنسبة إليّ وقد لحظت فيه توفيق الله ـ تعالى ـ وأنا لم أكن في الحقيقة سوى المخرج لعمل بطولي قام به أبي وأمي وأختي الكبيرة، لأنهم جميعاً بذلوا جهوداً عظيمة في سبيل توفير بيئة تجعل النجاح العادي أمراً غير وارد نهائياً ، وإذا أردتُ أن أذكر عناوين صغيرة لتلك الجهود ، فسأقول الآتي :

أ ـ كان أبي منذ كنت في الخامسة من عمري يردِّد على سمعي موعظة أحد الحكماء لأبنائه : يا بني إذا أردتم الدنيا ، فعليكم بالعلم ، وإذا أردتم الآخرة ، فعليكم بالعلم ، وكان لا يضيع أي فرصة لبيان فضل العلم وأهله، وكان أخو جدي واحداً من كبار الأطباء ، وكان أبي كثيراً ما يقول لي : أنت ستكون مثله ، بل إن أمامك فرصة لأن تكون أشهر منه ، ولهذا فحين انتقلتُ إلى المرحلة المتوسطة أخذت أهتمُّ أكثر وأكثر بالتفوق والحلمُ الذي يلوح أمامي هو دخول كلية الطب، وقد حصلت على ذلك بحمد الله .

ب ـ كانت أسرتي تُشعِرني أنها مستعدة دائماً لتأمين كل ما أحتاجه من مال من أجل دراستي ، وقد أعطاني أبي مبلغاً كبيراً من المال ، وأنا في السنة الثانية من المرحلة الثانوية حتى أُحضِر المواد المطلوبة لاختراع كنت أشتغل عليه ، وكانت أمي تقول لي باستمرار : لا تفكر في تكاليف الدراسة مطلقاً فكل ما أملك من حُليّ سيكون تحت تصرفك عند الحاجة .

جـ ـ لا أستطيع أن أنسى أبداً كيف كانت أمي تُلغِي مواعيد زيارة قريباتها وصديقاتها كلما عرفت أن لديَّ اختباراً في اليوم التالي ، أما أختي الكبرى ، فقد كانت تقول لي : ما أخبار ابن سينا تشجيعاً وتحفيزاً

لعلي أصبح طبيباً مرموقاً مثله، ولا أحصى المرات التي فاجأتني بها بقطعة حلوى أو كأس من الشاي ... إنها فعلاً أمي الثانية !.

د ـ كنت أشعر في بداية مرحلة المراهقة بأن مادة الجغرافيا جافة جداً وصعبة ، وكنت أتحدث عن ذلك أمام والدي كثيراً ، وكنت فعلاً أخاف من الرسوب في تلك المادة ، وهذا ما حدث فعلاً ، وكان تأثير ذلك عليّ كبيراً جداً وذلك لشعوري بأنني خذلت أهلي وخيبت آمالهم فيّ إذ لم يكن أحد يتصور أن أرسب في أي مادة من المواد ، وكان موقف والدي يثير الإعجاب ، حيث قال لي حين سمع بنتيجة الامتحان : كنت أود ألا يحدث ما حدث ، لكن كن على ثقة أن هذا الرسوب هو شيء عابر في حياتك ، وسوف تنجح في الدور الثاني ، وكأن شيئاً لم يكن ، وأخذ والدي يذكر لي كبوات كثير من العلماء العظام ، وكيف أن كثيرين منهم كانوا مخفقين في بعض جوانب حياتهم، وقد لاحظت أن أبي كان يريد حمايتي من الإحباط ، وقد نجح في ذلك .

٣ـ حين يجد الأب أن ابنه لا يرغب في الاستمرار في الدراسة ، أو يجد أن تحصيله العلمي ضعيف مقارنة بزملائه ، فإن عليه ألا يكتفي بحثه على بذل المزيد من الجهد ، بل عليه أن يبحث فيما إذا كان ذلك لسبب نفسي أو جسمي ، فقد يكون سمعُ الطفل ضعيفاً ، وقد يكون في حاجة إلى نظارة ، وقد يكون بطيء الفهم ، فلا يستطيع في كل هذه الحالات متابعة المدرسين ، وقد يكون لديه نوع من عيوب الكلام مثل (التأتأة) وقد يكون لديه حياء شديد مما يمنعه من التحدث أمام زملائه ... إن معالجة هذه المشكلات يعد شرطاً مهماً لتقوية رغبة الطفل في التعلم ومواصلة الدراسة .

٤ـ للمكان الذي يدرس فيه الطفل تأثير كبير في إقباله على تحصيل

العلم، والحقيقة أن المدارس الممتازة دائماً قليلة ، والدراسة فيها مكلفة مادياً ووضوح هذه الفكرة لدى الآباء مهم حتى يستعدوا لتعليم أبنائهم بتوفير نسبة محددة من دخلهم الشهري من أجل إنفاقه على تعليم الأولاد في مدارس وجامعات ممتازة ، ولا أريد التوسع في هذا الموضوع الآن، لكن أود أن أشير إلى شيء واحد، هو أن المدرسة الجيدة هي المدرسة التي يتوفر فيها شيئان أساسيان : جدية في التعليم وشعور المدرسين فيها بالرضا عن أوضاعهم وأوضاع مدرستهم، وقد ثبت من مشاهدات كثيرة أن ارتفاع الروح المعنوية للإداريين والمدرسين وشعورهم بالانتماء للمكان الذي يعملون فيه، مما يثير روح التفاؤل لدى الطلاب ، ويحفزهم على الإقبال على التعليم ، هذا يعني أن على الآباء النظر إلى المدارس التي يسجلون فيها أبناءهم من الداخل، وليس من الخارج، والنظر إلى الإنسان الذي فيها أكثر من نظرهم إلى الأبنية والتجهيزات .

٥- إذا كانت المدارس هي الأماكن الأساسية لتعليم أبنائنا ، فإن لها علينا حق التواصل والمؤازرة والنصح ، ولا سيما بعد التطورات الكبيرة التي طرأت على خبراتنا حول التعليم الجيد وحول الظروف الملائمة لأفضل تحصيل ممكن ، فقد دلت البحوث والدراسات الكثيرة على أن استجابة الطفل لمعلميه تكون في أحسن حالاتها إذا كان أسلوب التعليم مثيراً وممتعاً ومشوِّقاً ، وهذا يحتاج إلى تمتع المعلمين بلياقة عقلية و روحية عالية ، ويحتاج إلى توفر مكان أنيق وجميل ومكيَّف وثري بوسائل التعليم الحديثة .

المدارس الحكومية تحتاج إلى مساعدة الأهالي من خلال ترتيب علاقات جديدة ، وتحتاج من الأهالي التواصل معها لمعرفة أحوال أبنائهم .

أما المدارس الأهلية، فنحتاج نحن عند البحث عن مدرسة لدراسة الطفل إلى التأكد من جودة المدرسة، ونحتاج أيضاً إلى التفاعل والتواصل مع معلميها، تقول إحدى المعلمات في مذكراتها : حين كنت أدرِّس طلاب الصف الثالث الابتدائي أثار انتباهي وإعجابي والدة إحدى الطالبات ، فقد كانت الطفلة يتيمة ، لكن كانت تلقى من اهتمام والدتها وحرصها ما تناله طفلة حظيت بأفضل أب وأفضل أم ، قد كانت تلك الأم الفاضلة تحضر كل جلسات مجلس الأمهات، وتتصل كل أسبوعين لتسأل عن ابنتها ، وتطمئن على سير دراستها، ولتزودني ببعض الملاحظات، وأذكر أنها في إحدى المرات قالت لي: ابنتي كذبت عليَّ مرتين ، ولم أحاول إشعارها بأني أعرف كذبها ، فأرجو منك معالجة ذلك معها ، وقد دعتني تلك الأم الفاضلة خلال سنة واحدة مرتين إلى منزلها ، وأكرمتني غاية الإكرام ...

٦- سيظل بنو البشر في حاجة إلى ما يعزز دوافعهم إلى العمل ، وإن الثناء والتشجيع والمكافأة على الإنجاز وعلى الكفِّ عن بعض التصرفات السلبية من الأمور التي ينبغي أن يهتم بها كل مربٍ سواء أكان أباً أم معلماً ، أحد الآباء كان يتحين الفرص ليوصل رسالة إلى ابنه بأنه عزيز عليه ، وأنه يفكر دائماً في مستقبله ، كما أنه يحاول الإشادة بأي نجاح يحققه الطفل ، ولا يكاد يقدم له مكافأة على شيء حسن فَعَله حتى يقدم له وعداً بمكافأة جديدة ، وأحياناً تكون تلك المكافأة عبارة عن هدية غير مرتبطة بأي إنجاز . الطفل الصغير جداً يحتاج إلى المكافأة المادية أكثر ، وكلما كبر كبرت حاجته إلى المكافأة المعنوية، وحين يدخل في مرحلة المراهقة يصبح تواصل أهله معه وإحساسهم بما يعانيه أفضل ما يمكنه أن يتلقاه من هدايا ومكافآت . بعض الآباء

يضعون معايير عالية جداً لإنجاز أبنائهم ، وقد رأينا من يحصل ابنه على المركز الثالث ، فلا يقدم له أي تهنئة أو هدية ، بل إنه يوبخه لأنه كان يتوقع منه الحصول على المركز الأول ، وهذا أسلوب خاطئ في التربية ، ونتيجته قد تكون شعور الطفل بالإحباط والعجز ، كافئ ، وشجِّع وفكِّر بصمت كيف تكون النتائج أفضل في المستقبل ، وكيف يمكن مساعدة الطفل على الوصول إليها .





النشاط الحركي الزائد

النشاط الحركي الزائد أو ما يسمى أحياناً بـ (فرط الحركة) مثار شكوى كثير من الآباء والأمهات : ابني لا يهدأ ، ولا يستقر في مكانه أكثر من دقيقة أو دقيقتين ، وعقله ليس معه ، إنني أتحدث معه، وأشعر أنه يفكر في أشياء كثيرة إلا الشيء الذي أحدثه به ... شكاوى كثيرة، والإجابات التي تأتي من الأصحاب والضيوف والأقرباء ملتبسة، فمن قائل: إن الولد يحتاج إلى طبيب ، ومن قائل: إن هذا دليل ذكاء ونبوغ ، والطفل المتحرك أفضل من الخامل الجالس في مكانه، لأن الهدوء قد يكون علامة غباء ، ومن قائل: كل الأطفال هكذا ، وليس ابنك فقط ، وقائل : سنوات قليلة ويزول ذلك كما زال من سلوك ابني ... نصائح وفتاوى تربوية لا تزيد الأهل إلا حيرة وارتباكاً !

ما حدود المشكلة؟

١ـ النشاط الزائد هو حركات جسمية تفوق الحد الطبيعي أو المعتاد، ونحن نعرف أن كثيراً من الآباء و الأمهات ليس لديهم سوى ولد واحد ، وبالتالي فإنهم لا يعرفون ما هو المعتاد والمألوف في هذا وغيره،

ومن هنا فإن المقارنة قد تكون هي الوسيلة الوحيدة ، ولهذا فإن على الأب الذي يعتقد أن ابنه يعاني من فرط الحركة أن يزور المدرسة التي يدرس فيها ولده وقت الفسحة ، أو يأخذ ولده إلى أماكن ترفيه الأطفال ، أو ينظر إليه وهو جالس مع أولاد الأقرباء والجيران ... فإذا رأى فرقاً واضحاً بين ابنه وبين غيره من الأطفال في كثرة الحركة وفي كثرة النشاط غير الهادف ، فهذا دليل أوَّلي على وجود مشكلة .

٢- الطفل المصاب بفرط الحركة يعاني من صعوبة الاستقرار في مكان واحد مدة طويلة ، كما يعاني من الفشل في إتمام المهمات التي يُكلَّف بها على الرغم من كثرة نشاطه ، وهو يُكثر من تسلق الجدران والأماكن المرتفعة .

٣- تشتت الانتباه وضعف القدرة على التركيز بالإضافة إلى الاندفاع في أعمال ، فيها شيء من الخطورة من علامات الإصابة بفرط الحركة ، ولا بد من أن يكون ضعف القدرة على التركيز وتشتت الانتباه ظاهراً في سلوك الطفل في البيئة الاجتماعية (المنزل) وفي البيئة الأكاديمية (المدرسة) معاً وإلا كان العيب في البيئة نفسها، وليس في الطفل .

٤- يظهر فرط النشاط بقوة لدى الطفل المصاب في حال وجود مؤثرات صوتية أو مرئية ، كما أنه ينسى سريعاً، وقد يتصرف بشكل غير لائق دون التفكير في العواقب والنتائج .

٥- من أعراض المرض كذلك ظهور حالة عدم القناعة أو الرضا لدى

الطفل ، حيث يبدو أنه لا يقبل بأي شيء ، ويظهر ذلك من خلال الاستمرار في الحديث والسؤال عن نفس الموضوع ، كما أنه يُكثر من التدخل في شؤون الآخرين .

٦ـ يَملُّ الطفل المصاب من الألعاب التي تستدعي تركيزاً ذهنياً على حين تزداد رغبته في ممارسة الألعاب المحسوسة التي لا تستدعي التركيز .

٧ـ أظهرت الدراسات أن النشاط الزائد ينتشر بين الذكور أكثر من انتشاره بين الإناث، كما أن نسبة انتشاره لدى أطفال الأسر الفقيرة أكبر من نسبة انتشاره لدى أطفال الأسر الثرية .ونسبة انتشاره على مستوى العالم تتراوح بين (٣٪ و٧٪) وترتفع هذه النسبة في دول الخليج على نحو لافت ، حيث أفادت دراسة أجريت عل عينة من طلاب الابتدائي في الإمارات العربية إلى أن نسبة الإصابة بينهم تصل إلى ما يقارب ال (١٨٪) ودلت دارسة أخرى أن النسبة في المملكة هي في حدود(١٥٪) وذكرت إحدى الباحثات أن الوراثة تسهم في نحو (٨٥٪) من أسباب ارتفاع هذه النسبة في دول الخليج . ومن اللطيف أن معظم الجدات ينسبون ما يرونه من فرط في نشاط الأحفاد إلى الشبه بينهم وبين أبائهم حين كانوا صغاراً في مثل سنهم !
يظهر النشاط الزائد لدى الطفل الذي يعاني منه في سن مبكر : (٥ ـ ٩ سنوات) وإن الشائع لدى كثير من الأسر أن فرط الحركة يتراجع شيئاً فشيئاً في سلوك الطفل إلى أن ينتهي بصورة نهائية ، وهذا ليس بصحيح، فقد دل بعض الدراسات على أن ما يزيد على (٣٠٪) من الحالات قد يستمر مع الطفل المصاب حتى بعد أن يصبح شاباً .

ما ملامح البيئة الأسرية الجيدة ؟

لا يصح أن يكون عمل الأسر هو إطفاء الحرائق على نحو مستمر، وإنما المطلوب دائماً توفير بيئة تساعد الصغار على أن يكونوا أصحاء نفسياً وجسدياً ، وأعتقد أن تعميق الثقافة التربوية لدى الآباء والأمهات سوف يوِّلد مع الأيام أوضاعاً أسرية جيدة ومريحة للجميع ، ولهذا فإن علينا الآن أن نوضح ما على الأبوين القيام به حتى لا يعاني أولادهم كما عانى أولاد الأسر الجاهلة والمفككة ، ولعل مما هو مطلوب في الوقاية من هذه المشكلة الآتي :

١ـ يدل العديد من الدراسات على أن إصابة الأم بالأمراض أثناء الحمل بالإضافة إلى تناول بعض الأدوية والعقاقير ، إلى جانب تعرضها للقلق والتوتر الشديد مدةً طويلة ... من الأمور التي تساعد على إصابة الطفل بالنشاط الحركي الزائد في السنوات الأولى من عمره ، ولهذا فإن الهدوء النفسي للأم أثناء الحمل وبعدها عن التدخين وتناول المهدئات ، والمخدرات، من الأمور المهمة، بل إن البعد عن هذه الأمور مطلوب من الجميع وفي كل حين .

٢ـ المسكن الجيد هو المسكن الهادئ والجميل والمنظَّم تنظيماً حسناً ، كما أن توفر الألعاب المتحركة والمتنوعة مما يساعد على إنضاج الطفل على نحو سريع ، ويقلل من مواجهته لنفسه ولجوئه إلى كثرة الحركة من أجل التعويض عن الحرمان مما يلعب به ، إن الطفل حين لا يجد ألعاباً ينشغل بها فإنه يتحول هو إلى شيء يشغل أهله ويزعجهم ، ونحن نعرف أن معظم الآباء والأمهات ينتقدون الطفل المفرط في

نشاطه، ويطلبون منه الهدوء والسكون وأحياناً يضربونه ، وقد ثبت أن مناكفة الأهل للطفل لا تخفف من حركته، بل تزيدها ، ولهذا فإن توفير مساحات للعب الأطفال وتوفير ما يكفي من الألعاب لهم، مما يساعد على الاتزان السلوكي والحركي .

٣ـ إن الطفل يُقلِّد أبويه وإخوته الكبار ، ومن هنا فإن هدوء الأبوين في تصرفاتهما والتزامهما بإنهاء المهمات التي يقومان بها مما يؤثِّر بطريقة غير مرئية في سلوك الطفل، وسيكون التأثير أكبر إذا قاما بشرح تصرفاتهما للطفل بأسلوب واضح ، وقد كان أحد الآباء يفعل ذلك بطريقة جميلة ، حيث كان يقول لكل أفراد الأسرة : إنني سأجلس الآن خلف المكتب مدة أربعين دقيقة حتى أنهي الكتاب الذي بين يديّ، وأرجو ألا يدخل أحد علي ، وكانت إحدى الأمهات تقول لبناتها ـ يومياً تقريباً ـ إن تنظيف البيت سيحتاج منا إلى ساعة ، وبعدها سندخل إلى المطبخ لإعداد الغداء ، وهذا يحتاج منا ساعة أخرى ... إن هذا يساعد على التركيز، ويساعد على الهدوء والاستمرار في العمل.

كيف نعالج فرط الحركة ؟

١ـ إذا شعر الأبوان بأن ابنهما نشيط أكثر مما ينبغي ، فإن نشاطه قد يكون عَرَضاً للمرض ، أو يكون عبارة عن نشاط غير معتاد أفرزته ظروف معينة ، ويمكن أن يزول بزوالها ، وعلى كل حال فإن العلاج الذي سأذكره، سيكون مفيداً بإذن الله ؛ تعالى في تحسين وضع الطفل سواء أكان مصاباً أو طبيعياً، وإنما أقول هذا الكلام لأنني أعرف حجم الصعوبة التي يلاقيها الأهل عادة في تشخيص مثل هذه الأمراض .

٢ـ إذا تأملنا في حال الأسر التي لديها طفل مصاب بفرط الحركة، فإننا سنجد أن طابع خطابها لأطفالها هو الطابع السلبي : توبيخ ولوم ونهي مستمر عن الحركة ، وكثيراً ما ينتهي الأمر إلى الضرب، ولا سيما إذا كسر الطفل أثناء حركته شيئاً عزيزاً على الأسرة، وهذا شيء غير جيد ، لأنه يجعل من الطفل إنساناً ذليلاً ومكتئبا ، أو يجعل منه إنساناً متمرداً ومعارضاً . المطلوب هو أن ندرك أننا نتعامل مع مريض وليس مع شخص سويّ ، فالطفل لا يستطيع السيطرة على نفسه ، إنه مغلوب على أمره ، ويحتاج إلى من يرحمه ، و إلى من يصبر عليه، بل إن الصبر والاهتمام، هما أساس معالجة الطفل الذي يعاني من المشكلة التي نحن بصددها .

٣ـ من الملائم دائماً أن نبحث عن فرصة للثناء على الطفل ليكون بديلاً عن اللوم والتقريع ، وقد كانت إحدى الأمهات ماهرة جداً في ذلك، وقد تحدثت عن ذلك لابنتها التي كان لديها ولد ، لديه فرط في الحركة، فقالت : كان أخوك فلان يعاني في صغره من مثل ما يعاني منه ابنك ، وقد كنا في الحقيقة نحن الذين نعاني ، وبما أنني متخصصة في التعليم المبكر ، فقد كنت أعرف كيف أتعامل معه ، وكان من جملة ما ركَّزت عليه أنني إذا وجدت أخاك مستقراً في مكانه ولو مدة خمس دقائق ، اقتربت منه وقبَّلته ، وقلت له : ما أجملك حين تكون على الكرسي ، وأحياناً أعطيه قطعة حلوى ، وإذا أنهى أحد واجباته في جلسة واحدة ـ وقد كان هذا نادراً بالنسبة إليه ـ أعطيته قطعة نقود ، وأثنيت عليه .

وحين بلغ الثامنة ، وصار يعقل ما أقوله له : كنت أجلس معه قبل

النوم، وأحاول أن أتذكر المواقف الجيدة التي رأيتها منه خلال النهار حتى أثني عليها، وأُشعِره بأنه في هذا الشهر صار أفضل من الشهر الماضي ، وأخبره بأن له عندي مفاجأة سارة إذا استمر في التحسن.

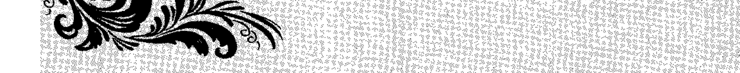
قد كان أخوك محباً جداً للجلوس مع ابن جيراننا ، وإذا منعته من الذهاب إليه كان يتضايق ويصيح ، فقلت له : حسناً سوف أسمح لك بالذهاب إليه يومياً مدة عشرين دقيقة ، لكن بثلاثة شروط: الأول ألا تطلب ذلك مني ، ولا تذكِّرني به ، والثاني أن تنتهي من كل واجباتك المدرسية قبل الخروج إليه ، والثالث : أن تعاهدني على أن تجلس على طعام العشاء وأنت هادئ تماماً كما تجلس أختك ، وكثيراً ما كان يوفيّ بذلك .

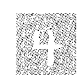
إن أباك كان ـ كما تعرفين ـ كثير الأسفار ، وكان يحرص كلما قدم من سفر أن يحضر معه بعض الألعاب لك ولإخوتك ، وقد ساعدنا هذا كثيراً في علاج أخيك، مع أنه كان لا يلعب باللعبة الواحدة أكثر من عشر دقائق ، ثم ينصرف عنها ليمارس الكثير من التخريب في المنزل ، لكن بالصبر الذي لا يعرف النفاد تغلبنا على المشكلة أخيراً .

٤ـ حين يتجاوز الطفل المصاب التاسعة ، فإن أسلوب التعامل معه يحتاج إلى شيء من التطوير ، ومع أن الصبر والاهتمام والتشجيع والثناء من الأمور التي ستظل مطلوبة دائماً إلا أنه يمكن إجراء عقد أو اتفاقية مع الطفل ، يلتزم فيها بأداء سلوكيات غير مرغوبة ، كما يلتزم الأب أو الأم بتقديم بعض المكافآت السارة والسخية ، وتنبع أهمية مثل هذه الاتفاقية من كونها تنظِّم وعي الأبوين تجاه ما عليهما القيام به نحو طفلهما ، كما تنظم وعي الطفل تجاه ما هو مطلوب منه،

وقد وقَّع أحد الأبناء النشيطين جداً مع أبيه على ما يلي : ((إني أوافق على أن أكون أكثر هدوءاً في المدرسة ، وأن أؤدي جميع واجباتي البيتية بإتقان، كما أن عليّ أن أجلس بهدوء تام خلال تناول العشاء، وأن أُخرِج القمامة في المساء قبل الساعة الثامنة ، وأن استيقظ إلى صلاة الفجر من غير متابعة من أحد ، وأن أرتب فراشي يومياً قبل الذهاب إلى المدرسة ، وإذا التزمت بهذه الاتفاقية مدة شهر ، فسيشتري لي والدي دراجة ، وإذا التزمت بها شهراً ثانياً ، فإن أبي سيزيد لي المصروف الأسبوعي بنسبة ٢٠٪ ويقوم الأب بالتوقيع على ذلك إلى جانب توقيع الابن .

إن ما هو مطلوب منا تجاه أبنائنا الأصحاء والمرضى كثير وكثير ، لكن المثوبة على ذلك من الله ـ تعالى ـ أيضاً كبيرة ، وإن أبناءنا سوف يفعلون مع أحفادنا مثل ما فعلناه معهم ، وهكذا تستمر الحياة ، ويستمر العطاء.





الشجار بين الأبناء

الإنسان سواء أكان صغيراً أم كبيراً يأنس بالإنسان ولا يُطيق العيش بدونه، لكن من الثابت أن اجتماع الناس ـ صغاراً وكباراً ـ بعضهم مع بعض، يُثير الكثير من المنافسة والتوتر وسوء الفهم والنزاع... وهذا يعود أساساً إلى اختلاف الأمزجة والأهواء والرغبات والعقليات والمصالح وتقدير الأمور ... والقاعدة العامة في هذا أن كل شخص هو (آخر) بالنسبة إلى شخص آخر، يشعر بمغايرته له ومضايقته إياه في العديد من المواقف، ولهذا فإن من الممكن القول: إنه لا يخلو بيت من البيوت من شيء من المناكفة والمناكدة بين كل أولئك الذين يعيشون تحت سقف واحد، لكن هناك من الشجار ما هو مألوف وتحت السيطرة، وهناك ما هو غير معتاد، بل ما هو خطِر ومقلق، وهذا ما يتحدث عنه التربويون. يُظهر العديد من الدراسات أن التناحر بين الإخوة يزداد مع تقدم السن، فأبناء الثماني سنوات أكثر تنافساً مع بعضهم ممن هم في سن أربع سنوات، كما تُظهر الدراسات أن الشجار يكون أكثر بين الطفلين حين يكونان متقاربين في العمر، كأن يكون بينهما سنة أو سنتان ـ مثلاً ـ وتزيد المنافسة كذلك حين يكون الطفلان من جنس واحد: ابنين أو بنتين.

لابد لي قبل التحدث عن مشكلة الشجار بين الأبناء من الإشارة إلى أن المتشاجرين الصغار يستفيدون من المنازعات بينهم بعض الفوائد، فهم يكتشفون قدراتهم على التغلب على الغير ، ويَخْبرون مشاعر التسامح والنصر وتقبل الهزيمة ، كما يكتشفون نقاط ضعفهم ،وحين تكون المشاكسات لطيفة، فإنها تخفف من أجواء الركود الروحي ، وتُضفي على المنزل روح الفكاهة والمرح ، والبيت ـ كما أشرت من قبل ـ هو ميدان للتعليم والتدريب على مواجهة التحديات في الحياة العامة، ولهذا فإن خلوَّ المنزل من أي شكل من أشكال الصراع ، لا يرسل رسالة إيجابية على نحو كامل.

متى يصبح الشجار بين الأبناء مشكلة ؟

يصبح الشجار بين الأبناء شيئاً مقلقاً ومثيراً للمخاوف في واحدة من الحالات التالية :

١ـ إذا تطور الخلاف إلى عراك بالأيدي مع غضب شديد ، أو إلى استخدام الضرب الموجع أو استخدام آلات حادة يمكن أن تسبِّب أذى بدنياً لأحد المتشاجرين .

٢ـ في حالة استخدام الكلام البذيء أثناء الشجار .

٣ـ تكرار الشجار على نحو غير مألوف .

٤ـ تسبب الشجار في إزعاج من في المنزل أو في إشغال الأولاد عن أداء واجباتهم المدرسية.

٥ـ شعور أحد الأولاد المتشاجرين بالقهر بسبب ظلم أخيه له ، ويتأكد هذا إذا كان المقهورهو الأصغر .

٦ ـ تعاظم الرغبة في الانتقام لدى أحد الأبناء .

في هذه الحالات يصبح تدخل الأهل أمراً ضرورياً حتى لا يحدث ما لا تُحمد عقباه .

لماذا يتشاجر الإخوة ؟

ذكرت أن الشجار بين الإخوة هو شيء طبيعي ، ونحن وإن كان الذي يشغل بالنا هو الشجار الخطِر أو المؤذي إلا أن الأسباب التي تؤدي إلى وجود الشجار بدرجاته المختلفة هي أسباب موحدة أو متقاربة، ولهذا فإننا هنا نتحدث عن العوامل والأسباب التي تشكل الجو المريض والمحرض على التنازع ، ولعل من أهم تلك العوامل الآتي :

١ـ إن التنافس على (موارد محدودة) من أكثر الأمور التي تثير الخصام والنزاع بين جميع الكائنات الحية ، وإن الإخوة يتنافسون في بيوتهم على العديد من الأمور المحدودة ، منها محبة الوالدين وانتباههما ورعايتهما وإشباع ما لديهم من حاجات ، ولا يستطيع الأبوان تقديم كل ذلك لسبعة من الأولاد بالقدر الذي يمكن أن يقدماه لولد أو ولدين ، ولهذا فإن من الشائع أن نرى الطفل الأول وهو يحاول إيذاء الطفل الثاني، وذلك لأنه يعتقد بأنه فقد بسببه جزءاً كبيراً من مكانته لدى والديه ، ومن الموارد المحدودة كذلك المكان الذي يسكن فيه الأطفال والألعاب التي يلعبون بها، وكذلك بعض الأدوات المدرسية ... وكلما كانت هذه الأشياء قليلة وشحيحة زادت حدة المنافسة وزاد الشجار بين الأطفال، والعكس صحيح .

٢ـ تعارض الرغبات بين الأطفال في التعامل مع بعض الأمور، تقول إحدى الأمهات : لديَّ ثلاثة من الأولاد الذكور ، وبما أن منزلنا ضيق، فإنهم ينامون في غرفة واحدة ، وإذا قدِّر لك أن تدخل

عليها ، فستجد أنك دخلت على ساحة حرب ، حيث إنك لن تجد أي شيء في مكانه، ولا تكاد يمضي نصف ساعة حتى أسمع صراخاً من أحدهم، وأستقبل باكياً أو شاكياً منهم وكثيراً ما أجد نفسي حائرة في التعامل معهم ، هذا يريد أن ينام ، فيغفو، ويطفئ النور ، فيثور عليه أخوه الذي لم ينته بعد من كتابة واجباته ،وهذا يريد ألا يكون في غرفته أحد لأن زميله في المدرسة جاء لكتابة الواجب المدرسي معه ، ويتضايق أخواه من ذلك لأنهما يريدان البقاء في الغرفة... والمشكلة الكبرى حين نركب في السيارة في رحلة طويلة ، حيث يريد كل واحد منهم أن يجلس إلى جانب أبيه، والأكثر من هذا أني لا أعرف في بعض الأحيان لماذا يتشاجرون حيث أستمع إلى روايات متناقضة ومطالب متضاربة، فما يكون مني سوى أن أصرخ في وجه الجميع وأخرج !.

٣ـ حين يشعر الطفل بإهمال أهله له بسبب ضعفه أو هدوئه أو بسبب وجود أخ مستحوذ على اهتمام أهل البيت ، فإنه يعمد حينئذ إلى افتعال المشكلات مع إخوته حتى يُلفت الأنظار إليه، إنها محاولة منه لإعادة الأمور إلى نصابها .

٤ـ أحياناً يتمتع الطفل بطاقة زائدة ، أو يكون مصاباً بفرط الحركة، مما يدفعه إلى ممارسة نوع من العدوان ضد إخوته ، وتزداد الأمور سوءاً إذا كان الطفل يتمتع مع النشاط الزائد بذكاء متوقد ، حيث يشعر بالتفوق على أخيه أو إخوته ، ويبدأ في تجسيد ذلك في إيذائهم بطرق مختلفة .

٥ـ حين يشعر الطفل بأن أبويه يفضلان أخاه عليه فإن صدره يغلي بالحقد والثأر ، وبما أن الطفل لا يستطيع مكايدة أبويه ، فإنه ينتقم للحيف الذي يقع عليه بالإساءة إلى إخوته ، وهذا ما نجده واضحاً في قصة يوسف ـ

عليه السلام ـ مع إخوته حيث قال ـ سبحانه ـ : ((لَّقَدْ كَانَ فِي يُوسُفَ وَإِخْوَتِهِ آيَاتٌ لِّلسَّائِلِينَ إِذْ قَالُواْ لَيُوسُفُ وَأَخُوهُ أَحَبُّ إِلَى أَبِينَا مِنَّا وَنَحْنُ عُصْبَةٌ إِنَّ أَبَانَا لَفِي ضَلاَلٍ مُّبِينٍاقْتُلُواْ يُوسُفَ أَوِ اطْرَحُوهُ أَرْضاً يَخْلُ لَكُمْ وَجْهُ أَبِيكُمْ وَتَكُونُواْ مِن بَعْدِهِ قَوْماً صَالِحِينَ [يوسف : ٩]

إن إخوة يوسف شعروا أن يوسف وشقيقه (بنيامين) أحب إلى أبيهم منهم ، فدبروا المكيدة المشهورة للانتقام منه ...

٦ـ حين يكون أحد الأبناء متدني الإمكانات في أحد المجالات إذا ما قورن بأخ له قريب منه في السن ، فإن من غير المستبعد حينئذ أن يُظهر نوعاً من العدوانية تجاه أخيه ، وهذا يجعله يشعر بنوع من الظلم لأن إنجازاته تقارن بإنجازات شخص أعظم موهبةً منه .

٧ـ النزاع والشجار بين الوالدين على نحو لافت ، يسهِّل على الأطفال أن يتشاجروا فيما بينهم ، وذلك لأن جو المنزل يصبح متوتراً، وحينئذ فإن من السهل أن يصبح كل من في المنزل متوترين ، وإن المرء حين يكون متوتراً تصبح إثارته سهلة ، كما أن الصغار يتعلمون من الكبار ويقتدون بهم ، فإذا استسهل الأبوان أمراً شعر الصغار بأنه أمر طبيعي وعاديّ .

٨ـ إذا اتبع الأبوان أو أحدهما أسلوباً قاسياً في تربية الأبناء ، فإن ذلك يُضعف شعور الأولاد بالرحمة والألفة والتعاطف الذي ينبغي أن يسود بين أفراد الأسرة .

٩ـ سوء الفهم ليس حادثاً نادراً ، فنحن الكبار طالما أسأنا تفسير ما سمعناه من بعضنا ، فكيف بالصغار؟ ، ولهذا فإن الطفل كثيراً ما يفسِّر بعض كلمات إخوته أو بعض تصرفاتهم تفسيراً خاطئاً ، فيأخذ في الإساءة إليهم ، وإن من السهل على الطفل أن يفهم نصيحة أخيه

على أنها شماتة أو استهزاء به ، كما أن من السهل عليه أن يظن أن من حقه أخذ الشيء الفلاني ، ويكون مملوكاً لغيره ...

كيف نعالج شجار الأبناء ؟

تعالوا لننظر إلى الشجار الخطِر والمؤذي بين أطفالنا على أنه أحد أعراض الخلل في تربيتنا لهم ، فهذه النظرة تساعدنا على إعادة النظر في العديد من أساليبنا التربوية ، كما تساعدنا على تعلم أساليب تربوية جديدة ومفيدة ، وقبل أن أشرح ما علينا أن نفعله تجاه شجار الأبناء فإني أود أن أشير إلى شيء مهم، هو أن المبالغة في صياغة العلاقة بين الأبناء والمبالغة في التدخل بينهم ليست بالشيء الجيد ، وذلك لأننا نريد لهم أن يتدربوا على حل مشكلاتهم بأنفسهم قدر الإمكان ، كما أن كثرة تدخل الأهل في شؤون الأبناء تضبط إيقاع الحركة في المنزل أكثر مما ينبغي ، وهذا يخفف من جاذبيته ، مما يزيد في رغبة الأطفال في الخروج إلى الشارع كي يمارسوا حريتهم كما يحبون . في هذا الإطار أشير إلى الأسس والطرق التي يمكن استخدامها في معالجة الشجار بين الأبناء ، وذلك عبر المفردات الآتية :

١ ـ حين نريد أن نربي أبناءنا تربية صالحة وعظيمة، فإن علينا أن نصبر على دفع تكاليفها ، فالسمو دائماً مكلف ، والانحدار سهل ، وأحياناً ممتع ، وأرجو أن نتخذ من هذه القاعدة أساساً نبني عليه في كل شؤون الحياة .

٢ ـ حساسية الطفل نحو الظلم لا تقل عن حساسية الكبير ، ولهذا فإن علينا أن نكون حذرين جداً في تعاملنا مع أبنائنا، وقد وضع لنا نبينا ـ صلى الله عليه وسلم ـ أساس العدل بين الأبناء في موقف واضح

وصارم حيث روى النعمان بن بشير ـ رضي الله عنهما ـ أن أباه أتى به إلى رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ، فقال : إني نحلت ابني هذا غلاماً (أي وهبته عبداً كان عندي) فقال رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ : ((أكلَّ ولدك نحلتَه مثله)) ؟ فقال : لا ، فقال رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ : ((فأرجعه)) . وفي رواية أنه قال : ((فاتقوا الله واعدلوا بين أولادكم)) وفي رواية ثالثة . ((فلا تُشهدني إذاً فإني لا أشهد على جور)) . وقد ذهب بعض أهل العلم إلى أن على الأب أن يعدل بين أولاده حتى في التقبيل ، وهذا صحيح ، لأن الطفل يشعر بالظلم إذا وجد أن أباه يهتم بأخيه ويدلله أكثر منه ، وقبل أن أذكر مظاهر عدم العدل بين الأبناء أود أن أشير إلى شيء مهم ، هو ألا يسمح الأب لعلاقته مع أولاده أن تكون صدى لعلاقته بزوجاته ـ في حالة التعدد ـ حيث إن من أسباب الشجار بين الأبناء ـ غير الأشقاء ـ أن الأب يكرم أبناء الزوجة التي يميل إليها أكثر من إكرامه لأبناء الزوجة الأخرى ، وهذا يزرع البغضاء والحقد بين الأبناء ، وهو مخالف لروح العدل الذي يجب على كل واحد منا الالتزام به على أفضل وجه ممكن . إن من تفصيلات العدل بين الأبناء الآتي .

أ ـ عدم تقديم أي أخ على أنه نموذج لأخيه ، وفي هذا يقول أحد الشباب : حين كنت في المرحلة الابتدائية كان أخي الكبير في المرحلة المتوسطة ، وكان عذب الكلام ، وحسن التودد لأبي ، ولم تكن لي تلك الموهبة ، ولكنني ـ ومن غير مديح لنفسي ـ كنت أشعر أنني أكثر استقامة منه ، كما أن خدمتي لأسرتي كانت أفضل من خدمته، ومع هذا فإن أبي كان يلتقط بصورة عجيبة كل الإيجابيات في حياة أخي، ويطلب مني أن أتعلم منه تلك الإيجابيات ، وأن أقلِّده في الكثير من

سلوكياته ، وقد كان هذا يؤذيني ويجرحني ، وذلك لأنني كنت أشعر بأن أبي لا يرى سوى نقائصي وفضائل أخي ، وحين كان أخي في نهاية المرحلة الثانوية اتصلت الشرطة على أبي وطلبت منه الحضور حتى يعرف المشكلة الأخلاقية التي وقع فيها أخي .. ومن ذلك اليوم انقلب أبي على أخي ، ونسي كل فضائله ، وصرتُ في نظره الفتى المثالي مع أنني لست كذلك !.

ب ـ على الأب ـ وكذلك الأم ـ الحذر من استخدام اسم أو وصف يدل على التحبب (التدليع) مع أحد الأولاد دون غيره ، فهذا يترك آثاراً سيئة في نفوس الأطفال وفي العلاقة بينهم ، ومن المألوف جداً أن يقول الأب لابنه الصغير : (حبيبي ، روحي ، نور عيني....) في الوقت الذي يستخدم ألفاظاً قاسية في توبيخ ابنه الكبير بسبب تقصيره في أداء عمل من الأعمال ..!.

ج ـ العدل في قضاء الوقت معهم ، حيث لن يكون من العدل اصطحاب أحدهم بصورة دائمة إلى زيارة الأقرباء أو إلى السوق أو إلى مكان العمل ، وحرمان البقية من ذلك ، كما أنه لن يكون من العدل كثرة الجلوس والضحك مع بعضهم دون البعض الآخر ، إن مثل هذه التصرفات تجعل فعلاً من الأخ المدلَّل منافساً يستحق الأذى في نظر إخوانه .

د ـ الحذر من تقليل شأن شكل أو ميول أو مهارات .. أحد الأولاد على نحو مطرد ، وقد كان أحد الآباء يقول لأبنائه الثلاثة . أنت يا فلان ستكون قاضياً ، وأنت يا فلان ستكون موظفاً ، أما أنت يا فلان فلن تكون مؤهلاً لشيء ، وستساعدني في المزرعة ! .

هـ ـ العدل بين الأبناء لا يعني المساواة ،لكنه يعني إعطاء كل واحد

منهم ما يحتاجه بالمعروف وفي إطار المصلحة العامة ، فالطفل الصغير يذهب للنوم قبل الأكبر سناً ، وحين يصاب الطفل بمرض نفسي ، أو يمر بأزمة من أي نوع فإنه يحتاج إلى ملاطفة ورعاية أكثر من غيره وهكذا ..

من المهم في هذا الإطار ألا يعتمد الأبوان على حدسهما الشخصي في معرفة مشاعر الأبناء ، بل عليهما سؤالهم بين الفينة والفينة عما إذا كانوا يشعرون بأنهم لا يتلقون معاملة عادلة ؟

٢ـ يقع كثير من الشجار بين الأبناء بسبب عدم معرفتهم بأن لكل إنسان ـ كائناً من كان ـ حيزه الشخصي الذي لا يصح اقتحامه من قبل أحد حتى الوالدين ، ومن هنا فإن من المهم أن يقدِّم الأبوان للأبناء النموذج الحي في احترام الخصوصيات ، وعليهما بعد ذلك منح الكثير من الخصوصية للولد الأكبر (ابن أو بنت) واحترام ملكيته الخاصة حتى يدرك الصغار معاني احترام الخصوصية ومعاني قيمة كف اليد عن ممتلكات الآخرين على نحو عملي ، ولا بد مع هذا من استخدام فك الاشتباك بينهم من أجل توضيح ذلك: هذه لعبة فلان وليست لعبتك ، لا يصح لك النظر إلى أخيك وهو يغير ثيابه الداخلية،ولا يصح لأي أحد أن يرفع صوته وفي الغرفة شخص نائم ، ومن غير الجائز أن يفتح الدرجَ شخص غير صاحبه وهكذا ...

٣ـ لدينا أسر كثيرة محرومة من معاني المرح والاستبشار، ومحرومة من الأنشطة المفيدة ومن الخروج لقضاء بعض الوقت في حديقة أو في البر أو أي مكان جميل ، وهذا يورث التجهم والجفاء ، كما يؤدي إلى الشعور بالملل والسأم ، ويجعل الطفل يشعر بأن مناكفة أخيه هي الحل الوحيد للتخلص من ذلك ، ومن هنا فإن على الأبوين أن يتعلما

كيف يثيران المباهج والمسرّات في حياتهم العائلية ، وأن يرتبا بعض الأنشطة الجماعية التي يشترك فيها جميع أو معظم أفراد الأسرة ، فذلك ضروري لتفريج الكرب العصبي الذي قد تجد نفسها فيه .

٤ـ الغموض في المسؤوليات والواجبات والأشياء كثيراً ما يؤجِّج الخلاف بين الأبناء ، ومن هنا فإن على الأم حين توزع المسؤوليات على بناتها ـ مثلاً ـ أن تكون واضحة جداً في ذلك مع تحري العدل،و اتباع النظام التبادلي، فإذا كان كنس البيت من مسؤولية إحداهن ، فلا يكن ذلك على نحو دائم ، وإنما تقوم الأم بإسناد ذلك إلى البنت الأخرى وتحويل مسؤوليتها إلى أختها وهكذا... كما ينبغي تحديد وقت لاستخدام هاتف المنزل والألعاب المشتركة ، إذ كثيراً ما يشكو بعض الأبناء من أن إخوانهم لا يدعون الهاتف يصمت ،و لا يتركون لهم أي فرصة لركوب الدراجة ....

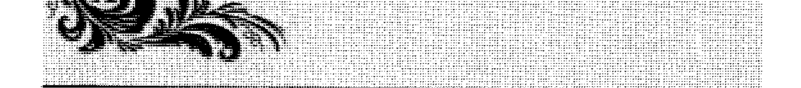
٥ـ نحن قررنا أن القدر اليسير من الشجار بين الصغار مفيد ، ولهذا فينبغي دائماً عدم الالتفات إلى الخلافات والنزاعات الصغيرة ، وعدم الاستماع إلى الوشايات حولها حيث إن كثيراً من الأطفال يتحدثون عن تعرضهم لاعتداءات لم تقع بالفعل ،وذلك من أجل جلب العقوبة لإخوانهم .

٦ـ بعض الآباء والأمهات يعهدون إلى أولادهم الكبار برعاية الصغار، إنهم يجعلون منهم ما يشبه الأب البديل والأم البديلة ، ويغضون الطرف عن قسوتهم مع إخوتهم الصغار وعن سوء تصرفهم مما يثير نار العداوة بين الجميع ، وهذا غير صحيح ،فتفويض الكبير بالإشراف على إخوته الصغار يجب أن يكون جزئياً، ويجب أن يظل الوالدان في الصورة حتى لا يقع في أخطاء فادحة ، وسيكون الأمر

أكثر حساسية إذا كان الأخ غير شقيق حيث يكون الاتهام بالتجبر والظلم سهلاً .

٧ـ لدى الأطفال مهارة كبيرة في وضع قوانين تنظِّم استخدامهم للألعاب، حيث إن من المشاهد أنهم ماأن يظفروا بشيء يلعبون به حتى يقرروا طريقة لتنظيم ذلك ، ومع أن بعضهم في الغالب يخرق النظام إلا أن تسوية الأمور كثيراً ما تكون سهلة ، لكن من الواضح أن الأطفال في المنزل الواحد يتشاجرون فعلاً ويُظهرون نوعاً من العجز عن التفاهم على الاستفادة من كثير من الألعاب ، وفي هذه الحالة فإن كثيراً من الآباء يقومون بشيء جيد، هوأن يعلِّموا أبناءهم كيف يتداولون اللعب باللعبة الواحدة ، وكيف يستخدمون بعض الأجهزة لمشاهدة بعض البرامج ، ويقولون لهم : إذا اختلفتم بعد اليوم، فسوف نمنعكم من كل ذلك حتى تتفقوا ، وكثيراً ما تنجح هذه الطريقة في تخفيف النزاع واستعادة الهدوء .

٨ـ من المهم أن يكون الأب واضحاً في أنه لن يسمح للشجار بأن يتجاوز حدود الكلام المهذب ، أي أن يؤكد لهم دائماً أن الضرب والشتم وإطلاق الألقاب السيئة وتعمد الإغاظة ... من الأمور التي سينال صاحبها عليها العقوبة ، وقد كان أحد الآباء يقول لكل ولد من أولاده : كل كلمة لا تجد أن من المناسب التحدث بها مع شخص غريب ، فلا تتحدث بها مع أخيك ، وذلك لأنه يريد ألا يؤدِّي إسقاط التكلف بين الإخوة إلى تدريبهم على البذاءة والإيذاء .





■ الشعور بالدونية

لست أبالغ إذا قلت : إن الشعور بالدونية أو ما يسمى أحياناً بتدني اعتبار الذات وأحياناً بضعف الثقة بالنفس ، إن هذا الشعور يشكل واحدة من أهم المشكلات التي يعاني منهاالأطفال في معظم الدول العربية والإسلامية ، وله تأثير بالغ في نوعية الاتجاهات والدوافع التي تأخذ في التكون لدى الأطفال في مرحلة مبكرة من العمر . إن الطفل حين يولد يشبه من وجد نفسه في قاعة مظلمة جداً ، وفيها الكثير من الأشياء التي ليس لديه أي فكرة عنها ، ثم يجيء من يحاول مساعدته على تحسسها وتكوين صور ومفاهيم عنها ، وهكذا هو شأن الطفل تجاه فهمه لنفسه وقدراته وإمكاناته وعيوبه ...

إن الشعور بالدونية هو مجموعة الصور السلبية التي يختزنها الطفل في ذاكرته عن ذاته : شكله ، ذكائه ، إنجازه ، خلقه ، لباقته ، إمكاناته، نقاط ضعفه ، مكانته في أسرته ومدى تقبل محيطه له ... هذه الصور ترتسم في خيال الطفل من خلال تجاربه ومحاولاته الكثيرة في التخلص من الضعف الذي ولد فيه ومن خلال ما يقوله عنه أهله ومعلموه ورفاقه وأقرباؤه ، وهذا لأن معرفة الإنسان بذاته ـ مهما تقدمت به السن ـ تظل نسبية وغير مكتملة فالواحد منا سيظل على مستوى

من المستويات خاضعاً لما يقوله الآخرون عنه ، وهذا الخضوع لدى الصغار أكبر بكثير منه لدى الكبار .

مظاهر الشعور بالدونية:

إن الطفل يشعر بالدونية والضعف حين يقيس نفسه على من هم في مثل سنه، ويجد أن نتيجة ذلك القياس ليست في مصلحته ، وكثيراً ما تتجلى نتائج ذلك القياس بوضوح في الأنشطة والألعاب الجماعية، وهناك أعداد لا تكاد تحصى من الأطفال الذين يشعرون بالخذلان والضعف الشديد بسبب رفض زملائهم ورفاقهم انضمامَهم إليهم في لعب كرة الطائرة أو القدم أو شد الحبل... ، وذلك لما يعتقدون من ضعفهم وتدني مهاراتهم ، وهناك ما لا يحصى من الأطفال الذين يشعرون بالخذلان نتيجة رسوبهم المتكرر في جميع المواد أو بعضها ، وإن فهم هذا يساعد مساعدة كبيرة في العلاج كما سنشير إليه فيما بعد، ولعل من أهم مظاهر الشعور بالدونية الآتي :

١- الخوف مظهر أساسي من مظاهر الشعور بالدونية حيث تجد أن الطفل يخاف من أشياء كثيرة لا يخاف منها غيره ، هذا طفل يخاف من الخوض في الماء والخضوع لمدرِّب يعلِّمه السباحة ، وهذا طفل يخاف من المشي في الظلام ،وهذا طفل ثالث يخاف من أن يدافع عن نفسه في تهمة وجِّهت إليه ، وهذا طفل رابع يخشى من الدخول في أي مسابقة ثقافية أو رياضية ... والسبب وراء كل ذلك هو الشعور بنقص الكفاءة والقدرة على مواجهة ظروف لا عهد له بها ، على حين أن الطفل الذي لا يعاني من هذه المشكلة يعتقد أن ما سيلاقيه لن يكون شيئاً خطيراً ،وحتى لو كان خطيراً ، فإنه يستطيع التعامل معه .

٢ـ التشاؤم ورؤية الجانب المظلم من الأشياء ، فالطفل الذي يشعر بالدونية يصعب عليه أن يرى الإمكانات والفرص المتاحة ، ويصعب عليه تفسير النجاحات التي يراها ، وإذا فسَّرها ، فإنه يفسِّرها على أنها نتائج لمواهب عظيمة هو لا يمتلكها ، تقول إحدى الأمهات :

كان ابني يدرس في السنة الرابعة من المرحلة الابتدائية ، وكان ضعيفاً في العديد من المواد ، وكنت أحاول رفع مستواه فيها ، وبذلت في ذلك جهوداً ، ولم يحدث إلا القليل من التقدم ، وقد كان ابن أخي الكبير طبيباً نفسياً، فطلبت منه أن يجلس معه ربع ساعة ليرى أسباب ماهو فيه وعدم استجابته للتعليم ، وسألته بعد المقابلة عن رأيه في الأسباب، فقال: الولد ذكي جداً ، لكن يشكو من أن بعض زملائه يعيرونه بقصر قامته، بل إن أحد معلميه لما كان في الصف الثالث كان يقول له : من المؤكد أنك تدرس معنا بطريق الخطأ ، ويجب أن تكون في الصف الأول ، واكتشفت أنه كان يحلم أن يصبح طياراً حربياً مثل عمه ، لكن هذا الحلم انتهى حين عرف بأن ما يعانيه من القصر الشديد في القامة لا يساعده في المستقبل على الذهاب إلى الكلية الجوية ...

٣ـ يحدِّث الطفل الذي يشعر بالدونية نفسَه بأحاديث تجعل المشكلة تتفاقم لديه ،فهو في كل موقف في المدرسة وفي الملعب وفي الحياة الاجتماعية يردِّد العبارات المعبرة عن ضعف الثقة بالنفس ، مثل : أنا سيِّئ ، أنا غبي ، أنا غير محبوب ، أنا لا أصلح لشيء ،أنا غير محظوظ... هذه العبارات حين يرددها المرء بصورة مستمرة ترسِّخ قناعته وتزيد الصورة الذهنية لديه قتامة .

٤ـ الطفل الذي يشعر بالدونية يفقد حماسته للعمل بسرعة، وينسحب

عند أول عقبة يصادفها ، وهذا يعود أساساً إلى شعوره بأنه ضعيف الأهلية ، ولهذا فالدخول في أي تحد بالنسبة إليه هو عبارة عن مغامرة، وعدم الاستمرار فيها أسلم ، على حين أن الطفل الطبيعي يحاول، ويحاول ، ويتحمل المشاق والصعوبات.

أسباب شعور الطفل بالدونية :

١ـ الوراثة والعاهات الجسدية :

جعل الله ـ عز وجل ـ كل طفل من الأطفال متفرداً في تركيبه العقلي والنفسي ، كتلك الفرادة التي نراها في وجوه جميع البشر ، وبالنسبة إلى الشعور بالنقص أو الدونية ، فإن من الأطفال من يرث من آبائه الاستعداد لحمل هذا الشعور ، وبالتالي فإن الظروف الصعبة التي يمر بها تجعله يعاني من هذه المشكلة ، وأحياناً يستطيع الطفل التغلب على عامل الوراثة هذا من خلال ما يلقاه من دلال ورعاية لدى أسرته، ومن خلال ما يظفر به من تعليم على أيدي معلمين جيدين، والمشاهدات في هذا الشأن تفوق الحصر ... ومن وجه آخر فإن معاناة الطفل من نقص في الذكاء أو من عاهة في جسمه أو إصابة في حاسة من حواسه، إن كل ذلك ينعكس على ثقته بنفسه على نحو سلبي ، والتغلب على ذلك دائماً ممكن لكن من خلال العناية الفائقة والتدريب الجيد

٢ـ التوقعات المبالغ فيها :

قد يكون الأب ممن حقق نجاحات عالية في حياته ، وقد يكون ممن يملكون الكثير من الطموحات والأمنيات العظيمة ، وبالتالي فإنه

يريد من ابنه أن يصبح علماً من الأعلام ، وبعض الآباء يعجزون عن تحقيق بعض الأحلام الكبيرة ، ومن ثم فإنهم يطلبون من أبنائهم الصغار العمل على تحقيقها : قد كنتُ يا بني أتمنى أن أصبح طبيباً لكن بسبب بعض الظروف لم أتمكن من ذلك ، وعندي أمل بأن تصبح أنت طبيباً ... هذا كله يجعلهم يشعرون بنوع من العجز، واليقين بأنهم لن يستطيعوا تحقيق ما يطلبه أهلوهم منهم، ومن ثم فإنهم يستسلمون بسرعة أمام العقبات ، وربما كفُّوا نهائياً عن المحاولة وتجريب أشياء جديدة

٣ـ المبالغة في الحماية :

يبالغ بعض الآباء في العناية بأبنائهم وفي تدليلهم وعدم تكليفهم بتقديم أي شيء للأسرة ، وهم يظنون أنهم بذلك يُحسنون إليهم؛ ولا ينتبهون إلى أنهم يحرمونهم من الاستقلالية وخبرة التعامل مع المشكلات واكتساب الخبرات وامتلاك الحاسة التي تمكنهم من تقدير الأمور على نحو جيد .

٤ـ القسوة والتسلط :

بعض الآباء حوَّلوا بيوتهم إلى ما يشبه الثكنات العسكرية ، فهم يمارسون ما يشبه السحق لشخصيات أبنائهم من خلال الصرامة في التعامل والمحاسبة الشديدة على الأخطاء والنقد المستمر .. إن الطفل حين لا يشعر بدفء العلاقة مع أبويه ، ولا يشعر أنه موضع عناية وتقدير ، ينظر إلى نفسه نظرة مشحونة بالدونية وضعف الثقة ، ومن الملاحظ في هذا السياق أن الأطفال يشعرون بهذا الشعور حين يكون

أحد الزوجين شديد النقد لصاحبه، أو يستخدم معه لغة التهديد والوعيد .

٥ـ تقليد الكبار :

الإنسان كائن مقلِّد، والطفل يتعلم القوة والضعف والكياسة والبذاءة من خلال تقليده للكبار من حوله ، وحين يكون الأب ضعيف الثقة بنفسه فإن هناك احتمالاً لأن يتأثر أبناؤه به ، الطفل يعتقد أن أباه دائماً على صواب، وأنه أقوى وأذكى منه ، فإذا رآه كثير الشكوى والخوف والتردد ، فإنه يقلده ، ويبدأ بترديد عين المقولات التي يرددها ،ويقف عين المواقف التي يقفها .

كيف نعالج الشعور بالدونية :

إن من الثابت أن العقل يكتشف حقائق الوجود بالتدرج ،والطفل يتعرف على ذاته أيضاً بالتدرج ، وفي هذا خبر سار جداً لكل المهتمين بمعالجة أبنائهم والارتقاء بهم ، إذ إن هذا يعني أن الطفل أشبه بطبخة ما زالت قيد الإنضاج، فهي تقبل الماء والملح والمنكِّهات ... ومن هنا فإن تغيير الظروف التي يعيش فيها الطفل ، أو تغيير الخطاب الذي نوجهه إليه سيساعده على إعادة اكتشاف ذاته وقدراته ، وسيزيد من مقدار ثقته بنفسه ، وهذه بعض الأفكار والخبرات المهمة في مسألة تخليص الطفل من الشعور بالدونية :

١ـ التفكير المنطقي المتوازن : إن الصورة التي يرسمها الطفل في مخيلته عن نفسه ، تتكون من مجموعة من الأفكار والمعتقدات ، وهو يلتقط هذه الأفكار والمعتقدات من أبويه وإخوته الكبار ومعلميه،

وكل أولئك الذين يختلط بهم بكثرة ، وهنا تبرز أهمية كون التفكير المنطقي هو الشيء السائد في المنزل الذي يعيش فيه الصغار ، ولعل من مكوِّنات التفكير المنطقي الآتي :

أ ـ الاعتراف من الجميع بأن النقص ملازم لبني البشر ، وكم هو جميل أن يتحدث الأب عن المواد التي كان ضعيفاً فيها حين كان طالباً ، وأن تتحدث الأم عن الأمور التي أخفقت في تعلمها ،إن مثل هذا الحديث يخفف عن الطفل ما يشعر به من ضغوط بسبب شعوره باختلافه عن غيره وضآلة إمكاناته .

ب ـ لدى كل إنسان نقاط قوة ونقاط ضعف ، ومن ثم فإن من المهم للأبوين أن يتحسسا نقاط الضعف والقوة لدى أولادهم ، فإذا كانت الفتاة تشعر بالدونية بسبب ما لديها من قبح أو قصر في القامة ـ مثلاً ـ فلتركز لها الأم على ما لديها من براعة في الرسم أو في اللباقة في الحديث أو سرعة البديهة ... وقد قال أحد الطلاب الجامعيين : كنت أيام دراستي في المرحلة الابتدائية ضعيف الحفظ ، وكنت أعاني معاناة شديدة في حفظ أي شيء ، ولو كان سورة من قصار السور أو قصيدة مكونة من أربعة أبيات ، ولهذا فإن والدي كان يرى أنني لا أصلح لمتابعة الدراسة ، وعزم على إخراجي من المدرسة إذا انتهيت من المرحلة الابتدائية حتى أساعده في تجارته الرائجة والكبيرة ، وسمع بذلك المعلم الذي كان يعلِّمني الحساب ، فانزعج لذلك انزعاجاً شديداً، وذهب إلى بيتنا ، وقال لأبي : ابنك هذا أفضل طالب عندي في الحساب ، وإنه سيكون في المستقبل مدرساً عظيماً للرياضيات أو مهندساً مشهوراً ، وأما موضوع ضعفه في الحفظ ، فاتركه عليّ ، فأنا من سيعالجه، وقد أولاني الرجل من عنايته وتشجيعه ما رفع معنوياتي

إلى الحد الأقصى ، وأنا اليوم طالب في كلية الهندسة ؛ ولله الحمد .

ج ـ ليس هناك شخص يثق بنفسه ثقة مطلقة في كل مجال وكل موقف وكل تجربة ... فالإنسان يشعر تارة بالقوة وتارة بالضعف ، وينجح في بعض الأمور ، ويخفق في بعضها الآخر ، مناقشة هذه الحقيقة في إطار الأسرة ، ترفع من معنويات الطفل الذي يعاني من الشعور بالدونية، حيث ينظر إلى بعض جوانب النقص في شخصيته وبعض المشاعر السلبية لديه على أنها شيء طبيعي ، ما دام كل الناس يشعرون في بعض الأحيان بالإحباط ، ويشعرون أنهم غير متأكدين من تمتعهم بالجدارة .

د ـ وضِّح للصغار أن النجاح الحقيقي لا يكمن دائماً في تحقيق الأهداف وبلوغ الغايات ، وإنما يكمن في أن نبذل أقصى ما لدينا من جهد ، وأن نعمل بطريقة صحيحة ، ثم نرضى بما قسمه الله ـ تعالى ـ لنا فقد يكون الخير كل الخير في عدم حصولنا على بعض الأشياء التي نعتقد أنها مهمة بالنسبة إلينا . المحاولة المستمرة والمضي في الطريق الصحيح هما ركنا النجاح ، أما النتائج فهي محكومة باعتبارات عديدة، ولهذا فقد نصل إلى ما نرغب فيه ، وقد لا نصل .

٢ـ أطفالنا يحتاجون إلى حماية معتدلة ، وذلك لأن إهمالهم وعدم الوقوف إلى جانبهم يعادل في ضرره المبالغة في مساعدتهم ، إن الطفل حتى يكتسب المزيد من الثقة بنفسه في حاجة إلى أن يجرب ويخاطر ويقاوم ، وفي حاجة إلى إن يشعر بالتحدي ، وإذا قمنا بحل كل المشكلات التي يواجهها نكون قد قررنا أن نُبقيه طفلاً إلى أقصى وقت ممكن ، وهذا هو الذي يجعله يشعر بنقص الكفاءة ، أما إهماله فقد يؤدي به إلى أن يرتكب الأخطاء الفاحشة أو يؤدي به إلى الشعور

بالعجز عن تدبير أموره ، الأسلوب الصحيح الذي ينبغي اتباعه في هذا الشأن هو : ترك الطفل يعالج مشكلاته بنفسه ، ويستخدم كل الأساليب الممكنة في ذلك ، وإذا احتاج إلى مساعدة قدمناها له، يقول أحد الآباء : كان عندي طفلان ، لا يكبر أحدهما الآخر إلا بسنة ونصف ، وقد كانت المشاجرات بينهما مستمرة ، وقد اتبعت أسلوباً ناجحاً في التعامل مع مشاجراتهما ، فقد كنت حين أسمع صياحاً أو يأتيني أحدهما شاكياً ، أجمعهما ، وأطلب منهما الهدوء التام ، ثم أقول ليرني كل منكما ابتسامة صادقة وحلوة ، وبعد ذلك أقول : حاولا العثور على حل للخلاف الذي بينكما وأخبراني به ، فإذا لم يتمكنا قلت لهما : ليأتيني كل منكما باقتراح للحل ، وسأعطى جائز ة لصاحب الحل الأفضل ، وقد كان الطفلان يقومان بهذا في معظم الأحيان ، بل لاحظت شيئاً جميلاً ، هو أن الواحد منهما صار يقترح حلاً يحابي به أخاه من أجل الحصول على الجائزة ، وبعد سنتين من هذا التدريب ، صارت المشاجرات بينهما خفيفة جداً وقليلة ، والآن وبعد أن أصبحا رجلين يقولان لي قد خدعتنا (لعبتَ علينا) خدعة ذكية سوف نطبقها مع أبنائنا !.

٣ـ إشعار الطفل بتقبل الأسرة له : أسرة الطفل هي المرآة التي يرى فيها نفسه ، ولهذا فإن من المهم جداً أن يشعر بأنه طفل طبيعي ومحبوب وجدير بالاحترام والنجاح ، ولهذا تفصيلات قليلة أوجزها في الآتي :

أ ـ إرسال رسائل مختلفة للطفل بأن أبويه سعيدان بوجوده معهما وشاكران لله ـ تعالى ـ على أن رزقهما إياه ، وهذه الرسائل يمكن أن تكون بالكلمات ويمكن أن تكون بالثناء على الله ـ تعالى ـ على ما وهب، ويمكن أن تكون بالتقبيل والاحتضان والترحيب مرات

عديدة في اليوم .

ب ـ حين يُخفق الطفل في اختبار أو مسابقة أو أي محاولة ، فينبغي أن نتعاطف معه ، ونقف إلى جانبه ، وهذا هو المعنى العميق للحب غير المشروط ... قل للطفل : هذه المرة أخفقت ، وكثيرون أولئك الذين أخفقوا ، ثم عوضوا عن إخفاقهم بنجاحات عظيمة ، وأنت ستكون ـ بإذن الله ـ واحداً منهم .

ج ـ حين نُكثر من نقد الآخرين (أشخاص محددين) أو نقد عرق أو أبناء جنسية محددة أو مهنة من المهن أو مذهب من المذاهب ... فإننا ننمي في الحقيقة مشاعر سلبية لدى الطفل ، ونعمق لديه النظرة الدونية لنفسه ، تحدَّث دائماً بتفاؤل ، واذكر أمامه قصص النجاح، وأظهر فضائل الناس عوضاً عن عيوبهم ، فهذا من صميم هذا الدين ، ومن تجنب الغيبة ، وهو مع ذلك يفتح وعي الطفل على رؤية الإيجابيات لديه .

د ـ على الأبوين السعي إلى أن يكون الجو العام للأسرة مفعماً بالدفء والسعادة والسرور،ولا مانع على هذا الصعيد من أن يتحدثا عن ميزات الأسرة ونجاحاتها وحب أعضائها لبعضهم ، ومن المهم أن يتواصى الزوجان بذلك ، فقد يكون الزوج ، وقد تكون الزوجة من الميالين إلى الجدية الزائدة ، أو من أصحاب المزاج السوداوي ، مما يضفي على لقاءات الأسرة الكآبة ، ويزيد في الشعور بالنقص لدى الأطفال الذين يعانون منه .

٤ـ الطفل الذي يشعر بالدونية يحدِّث نفسه باستمرار بأحاديث تعبر عن شعوره ، وتزيد في ذلك الشعور ـ كما أشرت قبل قليل ـ وحتى نغير في ذلك الحديث فإن علينا أن نساعد الطفل على صعيدين :

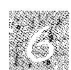
أ ـ أن نعلِّمه ترديد عبارات تحمل معاني الثقة بالنفس والقدرة على الإنجاز ومقاومة الضغوط ، وذلك مثل : ((أنا في خير من الله وأشعر بالسعادة))، ((لديَّ العديد من المواهب ، ويجب أن أتعلم كيف أستفيد منها)) ، ((لن يستطيع أحد أن يمنعني من الوصول إلى حقي)) ، ((قد أُخفق في محاولة، لكن في النهاية سأصل إلى هدفي))...

إن هذه العبارات وأشباهها تترك آثاراً كبيرة في نفسية الطفل ، ولا سيما إذا طلب منه أهله أن يشرح ما الذي يعنيه بها ، وينبغي أن يساعدوه على سوق الأمثلة المناسبة إذا عجز عن التمثيل .

ب ـ حتى يصبح للعبارات الدالة على الثقة معنى وواقع ملموس ، فإن علينا أن نزجّ بالطفل في خضم الكثير من الأنشطة التي تساعده على اكتشاف قدراته ، ونزوده بالكثير من المهارات ، فالطفل من خلال العمل والمشاركة يكتشف نفسه ويكتشف الواقع ، وتصبح لديه خبرة بمشاقِّ الحياة وعقباتها ، وهذا كله يحسِّن مستوى ثقته بنفسه،: في داخل المدارس جمعيات ثقافية وفرق كشفيه وأنشطة رياضية ، وهناك حلقات لتحفيظ القرآن الكريم موجودة ـ بحمد الله ـ اليوم في كل مدينة وقرية، وإن انخراط الطفل فيها مهم لتحقيق ما ذكرناه ، كما أن من المهم كذلك تكليف الطفل ـ بما يناسب سنه ـ بتحمل بعض المسؤوليات داخل المنزل ، مع الإصرار على النجاح في كل ما ذكرناه .

ضعف الثقة بالنفس وباء يجتاح كثيراً من الأطفال ، وينبغي أن نعرف كيف نحصِّن أطفالنا منه ، وكيف نعالجهم حين يصابون به .





العدوانية

يشكو كثير من الأسر من أن لدى أبنائهم نزعة قوية إلى العدوانية على الآخرين ورغبة متأججة في إلحاق الأذى بهم ، كما تشكو أسر كثيرة من النشاط التخريبي لأبنائها، ومن الألفاظ البذيئة التي يتلفظون بها، وكثير من الآباء والأمهات لا يعرفون أسباب ما يحدث ولا كيفية علاجه، بل إن الدارسين المتخصصين في بحث سلوك الأطفال حائرون في وضع تعريف جيد للطفل العدواني وفي قياس درجة العدوانية لدى طفل معيَّن ، كما أنهم حائرون في تحديد الأسباب الدقيقة التي تدفع بالطفل إلى أن يكون عدوانياً ومؤذياً ، ويلفت بعض الباحثين النظر إلى تنامي نسبة الأطفال الذين يمكن وصفهم بأنهم عدوانيون ، وإن كانت تلك النسبة ستظل تختلف من بيئة إلى بيئة . وأنا سأحاول الاقتراب من هذه القضية بأسلوب مبسَّط قدر الإمكان .

ما معنى العدوانية ؟

يولد الطفل وهو ناقص الإنسانية ، فهو لا يملك اللغة ولا المشاعر ولا معايير الخطأ والصواب ... و هويتعلم كل ذلك من المجتمع

الذي يعيش فيه ، ومن ثم فإنه يمكن لنا أن نقول : إن الطفل حين تُشبَع حاجاته بطريقة جيدة، ويعيش في أسرة جيدة وهادئة ، فإن من المتوقع له أن يكون أكثر انضباطاً وأكثر احتراماً لحقوق الآخرين وأكثر مراعاة لمشاعرهم ، لكن لابد مع هذا من القول : إن الطفل قد يتعلم السلوك العدواني من بعض زملائه في المدرسة وبعض رفاقه وجيرانه خارج المدرسة ، أضف إلى هذا أن العدوانية لدى الطفل قد تكون موروثة عن بعض آبائه وأجداده ، وقد تكون بسبب اعتلال عصبي ... وعلى كل حال فإن من مظاهر السلوك العدواني الآتي :

العدوان الجسدي :

يتمثل العدوان الجسدي في إيذاء الطفل لجسد طفل آخر أو إيذاء شخص راشد ، وهذا الإيذاء قد يكون بالضرب أو خمش الوجه أو العضّ أو الرفس أو الدفع الشديد ، وقد يتجاوز هذا كله ليصل إلى حد استخدام الأدوات الحادة أو السلاح ، وإن من جملة ما يشكوه الناس اليوم في الولايات المتحدة الأمريكية تفاقم ظاهرة استخدام الأطفال للسلاح داخل المدارس في العدوان على بعضهم أو على معلميهم!!

العدوان الكلامي :

يقتصر العدوان الكلامي على استخدام اللسان في الشتم والقذف والوصف بالأوصاف التي تحمل طابع الإهانة ، وذلك كأن يقول الطفل : أنت يا فلان خسيس أو لئيم أو مغفَّل ... وإن من المؤسف أن هذا اللون واسع الانتشار في العديد من البيئات، ولا سيما تلك البيئات الغارقة في الفقر والجهل والفوضى ، تقول إحدى الأمهات: قُدِّر لي أن

أتزوج من رجل من غير بلدي ، وقد وافقت عليه بقناعة تامة، وحين ذهبت إلى بلده شعرت أنني خُدعت ، حيث وجدت أن محيطه من الأهل والأقرباء والجيران محيط في غاية الانحطاط ، وقد سمعت من الكلمات النابية من أفراد ذلك المحيط خلال شهر ما لم يكن يخطر في بالي أن بشراً يمكن أن يتفوه به ، ولا شك أن زوجي كان يختلف كثيراً عن أهله ، لكن المشكلة العويصة كانت فيما يسمعه الأولاد من أبناء العم والخال والعمة والخالة ... قد صرت أسمع من أبنائي بعض الكلمات التي تشبه لسع السياط على ظهر عارٍ ، وطالما سهرت الليالي، وأنا أفكر فيما يمكنني عمله ، وفي النهاية لم يكن أمامي سوى التفكير في أن ننتقل من ذلك الحي ، لكن زوجي كان مصراً على البقاء إلى جوار أهله ، وهنا وجدت نفسي أمام مفرق طرق، وقد استخرت الله ـ تعالى ـ واستشرت والدي ، ثم قررت أن أقف موقفاً هو أشبه بمغامرة خطيرة : قلت لزوجي ليس أمامك سوى شهر واحد حتى تقرر : إما الموافقة على الانتقال وإما الفراق بإحسان ، وقد دهش زوجي لهذا ، لكن كنت مصرَّة غاية الإصرار ، وفي النهاية استجاب وانتقلنا إلى حي مختلف ، فيه أناس مختلفون وخلال عشرة أشهر صار كل شيء مختلفاً، وعلى الرغم من مرور عشر سنوات على هذه الحكاية إلا أن زوجي ما زال يقول لي : قد أنقذتِ بشجاعتك الفائقة أولادك من أمور شنيعة لا ندري ماذا يمكن أن تكون نهاياتها!. ويدخل في العدوان الكلامي الصراخ والتهديد والوعيد ، وكل ما فيه إخافة للآخرين .

العدوان الرمزي :

إنه ذلك النوع من العدوان الذي لا تُستخدَم فيه اليد و لا اللسان،

لكن يستخدم فيه النظر، ويظهر في المواقف، وذلك حين يُعرض الطفل عن السلام على طفل آخر ، أو التحدث معه أو الجلوس إلى جانبه، أو حين ينظر إليه نظرة احتقار واستخفاف، أو يعمل على نقل كلام يسيء إلى الآخرين ، وكل ذلك بدافع الشعور بالكبر والاستعلاء والترفع ... وهذا اللون من العدوان شديد الأذى ، وآثاره قد تكون أشد من أذى الضرب ، لأنه يعبر عن شعور بالعنصرية أو الطبقية أو شيء من جنون العظمة، وكثيراً ما يعكس العدوان الرمزي مشاعر الأسرة التي نشأ فيها الطفل ، أي أن الطفل يتعلم هذا اللون من العدوان ـ في الغالب ـ من أسرته .

التخريب :

أحيانا تتجسد النفسية العدوانية في تخريب الطفل للأشياء ، فهو يكسر الأواني الزجاجية ، ويبعثر كل الأشياء التي قامت والدته بترتيبها ، ولا يبالي بسكب الماء أو الطعام على السجاد ... ويصل به الأمر إلى إيذاء نفسه أو إيذاء بعض الحيوانات الأليفة ، وقد رأينا كثيراً من الأطفال الذين يضربون رؤوسهم بالجدار أو بالأرض أو بأي شيء أمامهم ، وهذا اللون من العدوانية شائع بكثرة اليوم .

لماذا يصبح الطفل عدوانياً ؟

قد كنت أشرت قبل قليل إلى بعض العوامل التي تؤدي إلى ظهور العدوانية في سلوك الطفل ، وأحب أن أضيف إلى ذلك الآتي :

١ ـ التعامل مع الطفل بقسوة، وتقليل مساحة الاختيار أمامه، وحرمانه من أمور عزيزة عليه ... كل هذه الأمور مما ينمي روح الانتقام لدى

الطفل ، وهو حين يجد نفسه عاجزاً عن إيذاء من يعتقد أنهم يؤذونه، ويحرمونه من بعض حقوقه ومشتهياته، يلجأ إلى إيذاء إخوته الصغار أو زملائه أو أبناء الجيران، وقد يلجأ إلى إيذاء نفسه وتخريب الأشياء من حوله . وقد لاحظت أن ضيق مساحة المنزل وعدم وجود متنفَّس للأطفال في الخارج، مما يزيد في درجة العدوانية لديهم ، وهذه المشكلة موجودة بكثرة لدى الأسر الفقيرة .

٢ـ حين يشعر الطفل بالنقص ، فإنه يحاول تجاوز ذلك الشعور من خلال إثباته لمن حوله بأنه قادر على إثارة المشاعر ولفت الانتباه إليه، وكأنه يقول : أنا هنا ، ويجب أن تحسبوا حسابي .. الشعور بالنقص يتسرب إلى نفس الطفل من خلال معاناته من عاهة مثل فقد إحدى الحواس أو من خلال الرسوب المتكرر في المدرسة أو من خلال وصف أهله أو أساتذته أو أقرانه له بأنه غبيٌّ أو كسول أو قبيح ... إن معرفة الصغار والكبار بأنفسهم دائماً منقوصة ، ولهذا فإنهم يظلون مستعدين لتصديق بعض ما يقال فيهم من مدح وذم .

٣ـ يحتاج الطفل إلى أن يعبر عن مشاعره وحاجاته بطريقة سلسة وبشكل حر قدر الإمكان ، فإذا حال حائل دون ذلك عمد إلى إيذاء غيره لينفِّس عما في صدره ، وكثيراً ما يكون المانع من التعبير هو الأسلوب التسلطي الذي يتبعه الأهل في التربية حيث تكون المساحة المتاحة لتعبير الطفل ضيِّقة ، وحيث يكون النقد شبه معدوم ، وأحياناً لا يعبر الطفل عن ذاته بسبب استهجان لهجته من قبل معلميه أو زملائه ، فيعبرعن ذاته بالإيذاء والتخريب .

٤ـ إهمال الأهل لما يشاهدونه لدى الطفل من عدوانية ، وعدم تنبيههم له ، يرسل له رسالة تشجيعية على الاستمرار في ذلك ، بل إن

بعض الأهل يشجعون الطفل فعلاً على الاعتداء على غيره من خلال فهمهم الخاطئ لمعاني القوة والرجولة ، وهذا يحدث كثيراً في الأسر التي لم ترزق إلا بطفل واحد أو بذَكَر واحد ، حيث ترى أن الأهل يسمحون للصغير بأن يؤذي أخواته بشتى أنواع الأذى ويعدّون ذلك جزءاً من تدليله ، وجزءاً من الفرح به ! ورأينا من الآباء من يأمر ابنه بأن يأخذ حقه بيده في حال تخاصمه مع أحد زملائه ، ويعلّمه بأن الصلح والصفح والشكوى أمور تنافي الشجاعة وتنافي الكرامة ! .

٥- التقليد أحد الأسباب المهمة للعدوانية ، فالطفل الذي يعيش في بيئة يعتدي فيها أبوه على أمه ، أو يعتدي فيها أخوه على أخته بأي شكل من أشكال العدوان يظن أن ذلك شيء طبيعي ، فيتشربه في سلوكه ، وقد دل الكثير من الدراسات على أن مشاهدة أفلام الرعب ومشاهدة الأعمال الدرامية العنيفة تؤدي إلى تشجيع الطفل على السلوك العنيف .

كيف نتعامل مع عدوانية الأطفال ؟

قبل أن أذكر الأسباب والوسائل التي تساعدنا على التعامل مع عدوانية الأطفال أود أن أشير إلى أن بعض الدراسات يشير إلى أن نحواً من ١٠٪ من الأطفال في سن عشر سنوات، لديهم درجة من العدوانية ، كما أشارت الدراسات إلى أن العدوانية (الكلامية والجسمية ، متساوية بين الذكور والإناث، ومن الملحوظ أن العدوانية تبدأ بالظهور لدى الطفل وهو في سن الثالثة ، وهو يميل في السنة الرابعة من عمره إلى المجاملة مع الآخر، وحين يبلغ الثامنة أو التاسعة يصبح انضباطه وتحكمه بنفسه جيداً، فإذا بلغ الطفل العاشرة، وظلت

العدوانية واضحة في سلوكه ، فإن على الأهل أن يولوا ذلك اهتماماً خاصاً خشية تأصل هذا المرض في شخصيته ، ولعل مما يمكن لهم أن يقوموا به في هذا الشأن :

١ ـ بيئة أمان وسلام :

قلت ، وسأظل أقول : إن أهم جهد تربوي هو ذلك الجهد الذي نبذله في تشكيل جو أسري ينمو فيه الصغار بشكل جيد، الجو الأسري المطلوب يعني وضعية حسنة قائمة على فهم الأبوين لحاجات الطفل ومحكومة بالمبادئ والأخلاق الإسلامية الرفيعة مع استهداف راحة الطفل وسعادته على نحو واضح ، ومن المفردات المكونة لتلك البيئة الآتي:

أ ـ **الاهتمام بشؤون الطفل والاعتدال في تدليله من الأمور المهمة في تشكيل البيئة الجيدة ، وإن كثيراً من الأطفال ينحرفون دون أن يعرف عنهم آباؤهم أي شيء ، كما أن الاعتدال في تدليل الطفل يؤمِّن له حاجتين مهمتين في آن واحد : الشعور بالرفاهية والشعور بوجود سلطة ضابطة تحد من رعوناته وتجاوزاته ،** وإن التدليل المفرط مثل الإفراط في الضبط والقسوة في التأديب، كلاهما يؤدي إلى تقوية النزعة العدوانية لدى الطفل .

ب ـ **تُظهر الدراسات أن التلفاز صار أحد المصادر الأساسية لتعليم الصغار العنفَ والعدوانيةَ ، ومن المهم أن نراقب بدقة ما يشاهده صغارنا ، وقد صار لدينا اليوم ـ بحمد الله ـ العديد من قنوات الأطفال الجيدة ، وإن كنا في حاجة إلى المزيد منها .**

ج ـ **على الأبوين العمل على غمر الطفل بمشاعر الدفء والحنان والعطف من خلال المعانقة والتقبيل والثناء والكلام اللطيف ، فقد**

صار واضحاً أن أفضل طريقة لجعل الطفل لطيفاً ومهذباً هو أن نعامله بلطف وتهذيب واحترام .

د ـ تعاون الزوجين على أن تكون الخلافات بينهما عند حدها الأدنى حتى لا يتعلم الصغار الجدل العقيم وكيفيةإيقاع الأذى بالآخرين، وقد ثبت أن الطفل حين يشاهد مشاجرة عنيفة بين أبويه تجتاحه مشاعر الإحباط ممزوجة بمشاعر الخوف ، كما أنه مع الأيام يبدأ باستخدام نفس الألفاظ العدوانية التي سمعها منهما ، ونفس أشكال الإيذاء التي رآها .

هـ ـ لدى الطفل طاقة هائلة ، تحتاج إلى تفريغ ، وإن عدم تفريغها بالشكل الصحيح يجعله يفرغها بطريقة خاطئة ، وقد دل الكثير من الدراسات على أن (اللعب) يشكل أسلوباً نموذجياً لذلك ، ومن ثم فإن من المهم دائماً أن تُعدَّ الأم مكاناً في المنزل للعب الأطفال ، ومن المهم تسهيل حركتهم داخل المنزل، وإن مما يعيق حركة الطفل كثرة التحف وقطع الأثاث في المنزل، ومن المهم كذلك إتاحة الفرصة للأولاد كي يلعبوا خارج المنزل في بعض الحدائق والنوادي والملاهي الآمنة والجيدة ، وحين يلعب الطفل مع من هو أكبر منه ، فإن ذلك يخفف من العدوانية لديه، ويساعده على تعلم بعض الأشياء الجيدة

٢ـ تعزيز السلوك السلمي .

للمكافأة دائماً دور مهم في تحفيز الطفل على فعل ما نريد منه أن يفعله، والكف عما نريد منه أن يكف عنه ، أحد الآباء كان يقول لابنه المعروف بعدوانيته : قم والعب مع ابن عمك ، وإذا استطعتما الاستمرار في اللعب عشرين دقيقة بدون صراخ أو شجار ، فسوف أعطي كل واحد منكما بطاقة للذهاب إلى مكان للألعاب ، أب آخر

كان يقول لابنه: في كل يوم يمضي دون أن تشكو منك والدتك ، فإني سأعطيك نجمة وحين يصير لديك خمسون نجمة في مئة يوم فسوف أشتري لك دراجة ، وقد نجح في ذلك ،حيث صاردائم المحاولة للحصول على المزيد من النجوم ، وخلال ستة أشهر صار الطفل شخصاً مختلفاً

إن من المهم أن يترصد الأبوان لطفلهما العدواني حتى يمسكاه وهو متلبس بسلوك جيد وهادئ ليقدما له الثناء والتشجيع والمكافأة.

٣ـ التجاهل:

ما زال التغاضي والتجاهل من الأسباب الجيدة في التعامل مع الصغار والكبار، وفي حالة الطفل العدواني فإن تجاهل تصرفاته العدوانية يساعد على تقليلها ، وذلك لأن الطفل قد يعتدي على غيره بهدف لفت الأنظار إليه، وإرسال رسالة بأنه قوي ويستحق نوعاً من المعاملة الخاصة ، ومع التجاهل يُستَحسن أن نهتم بالطفل الذي وقع عليه العدوان ونواسيَه، إذ إن هذا يجعل الطفل العدواني يدرك الميزة التي يحصل عليها الطفل المعتدى عليه .

٤ـ تدريب الطفل على التعبير عن حاجاته :

كثيراً ما يعتدي الطفل على غيره لأنه لم يتلق أي تدريب على التعبير عن ذاته وحقوقه وحاجاته ، لأن الآباء المشغولين جداً لا يجدون أي وقت لتعليم أبنائهم استخدام اللسان عوضاً عن استخدام اليد في التعامل مع الآخرين ! أحد الآباء كان يعمل مدرساً ، وكان شديد الاهتمام بأن يربي أبناء مثاليين بما تعنيه الكلمة ، وقد كان يعتمد في ذلك على الحوار والتواصل مع أولاده وكان مما قاله : بما أنني معلم (صانع خطاب) فقد كنت دائماً أحاول أن أدرب أولادي على التعبير

عما يريدون بشكل واضح وأنيق ، فهذا يجعل ثقتهم بأنفسهم أكبر ، ويقلل من السلوك العدواني في علاقتهم مع غيرهم ، وحين سئل عن شرح ذلك قال : أنا مثلاً كثيراً ما أقول لأولادي :

على صاحب الحق أن يطالب بحقه، ولكن بأسلوب مهذب ، وإن الشخص القوي هو الذي يعرف حدوده ، فلا يتعداها ، ويحاول ألا يخطئ مع الآخرين حتى لا يُضَّطر إلى الاعتذار ، وحتى لا تُرسَم في أذهان الناس صورة سلبية عنه . إذا أخذ أحد الأطفال قلمك أو كتابك أو أي شيء من ممتلكاتك ؛ فقل له بهدوء مع عزيمة واضحة : إن هذا لي ، وليس من حقك أن تأخذه من غير إذني ، وأنا الآن أشعر بالغضب لذلك ، وعليك أن تُرجعه حالاً ، إنك حين تقول ذلك وتكرره تشعر بالثقة بالنفس ، وتشعر أنك تتحدث بشيء منطقي ، ومن المتوقع أن يقف كل الناس إلى جانبك ، وإذا رفض الطفل أن يعيد ما أخذه فيمكن أن تشكوه للمعلم أو مدير المدرسة أو تشكوه إلى والده، المهم ألا تفرَّط بحقك ، وألا تشعر أن من السهل الاعتداء عليك ، كما أن من المهم يا بني ألا تشتم ولا تسب ولا تضرب .

أنا أقول لهم أيضاً : إن الناس يا أبنائي لا يعرفون دائماً ما يُزعِجنا ، ولا يعرفون دائماً متى نشعر بالمهانة ، ومن ثم فإن علينا أن نوضح لهم ذلك حتى لا نتجرع غصص الألم ، وحتى لا تسوء العلاقة بيننا وبينهم . ليقل الواحد منكم لمن يكلمه بلهجة فيها تهجم أو رفع صوت أو ألفاظ نابية : إن هذا يزعجني ، ويغيظني ، ولا أحب أن أسمعه لا منك ولا من غيرك . أحياناً يا بني ننزعج من غيرنا بسبب وجود خلاف في وجهات النظر ، حيث تشعر أنت وشخص آخر أن كل واحد منكما على حق ، وفي هذه الحالة فمن الأفضل عوضاً

عن الجدال العقيم والتهاوش أن تقول له : دعنا نتناقش بهدوء ، أو تقول: إليك هذه الطريقة لحل الخلاف بيننا ، أو تقول له : استخدم هذا الشيء الآن ، وسآخذه منك بعد ساعة ...

٥ـ تنمية روح التسامح :

لا يعرف كثير من الناس أن اللطف في الكلام، والكرم في العفو والصفح، أمور يمكن للإنسان أن يتعلمها من أهله ومعلميه .... لو نظرنا إلى الأشخاص الغلاظ الجفاة لوجدنا أن معظمهم نشأ بين أبوين فيهما أو في أحدهما شيء من ذلك ، ولا يختلف هذا الاعتبار بالنسبة إلى الأشخاص اللطيفين .

إن الله ـ عز وجل ـ فطر الإنسان على التعاطف مع أخيه الإنسان ، فلو بكيت أمام ابن سنة ونصف ، فإنه يحاول التخفيف والتسرية عنك، وكثيراً ما يلجأ إلى التعبير عن ألمه من رؤية متألم من خلال البكاء ، ومع الأيام ومن خلال معاركة ظروف الحياة ورؤية أشكال من القسوة في الحياة اليومية يتراجع لديه ذلك التعاطف الحار ، وإن من مهامنا التربوية أن نعمل على إبقاء شيء منه على قدر الإمكان ، ولعل مما يساعد على ذلك الآتي :

أ ـ تحدث دائماً أمام الطفل عن سعة رحمة الله ـ تعالى ـ وعفوه وكرمه وأنه يعفو عن المخطئ ويحب من عباده أن يكونوا لطفاء رحماء، ومن المستحسن أن نذكر أمام الأطفال كذلك بعض حكايات المروءة والشهامة والكرم التي يحفل بها التاريخ الإسلامي ، ويحفل بها واقعنا أيضاً ، وذلك حتى يصبح أشخاص تلك القصص المعبِّرة جزءاً من الرموز التي يحترمها الطفل .

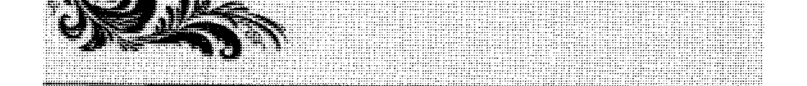
ب ـ حتى يعرف الطفل معنى التسامح والتعاطف ، فإن من المفيد أن

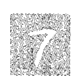
نقول له : تخيل أنك أنت الذي أخطأت مع فلان ، ورفض أن يعفو عنك ، كيف تكون مشاعرك ؟ وتخيل أنه قد وقع عليك ظلم من شخص ، أو جاء أحد الأطفال ، واغتصب منك شيئاً عزيزاً عليك كيف يكون موقفك ؟ إننا لن نستطيع فهم مشاعر الناس يا بني ، ولن نستطيع إنصافهم إلا إذا تخيلنا أنفسنا في نفس المواقف والظروف التي هم فيها

ج ـ لنوضح للطفل أن في هذه الحياة ظالمين ومظلومين ، ومعتدين ومعتدىً عليهم ، كما أن فيها من يعيشون في ظروف صعبة لم يختاروها، ولم يشاوَروا فيها ، وإن علينا أن نساعدهم ونعطف عليهم ، ونقف إلى جانبهم . إحدى الأمهات أحبت أن توصل هذا المعنى إلى بناتها، فجلست معهن ، وأخذت تسرد لهن حكاية مؤلمة عاشت أحداثها حين اتهمتها إحدى زميلاتها في الجامعة ظلماً وعدواناً بأنها أخذت مبلغاً كبيراً من حقيبتها ، وكيف حققت معها إدارة الكلية ، وحكت لهن الليالي الصعبة التي مرت بها دون أن تتذوق طعم النوم ، لأن أباها شك فيها ، ومال إلى تصديق اتهامها ... انتبهت الأم إلى أن عيون اثنتين من بناتها أخذت تلمع بالدمع ، وأيقنت أن الرسالة وصلت !

د ـ كثيراً ما تظهر عدوانية الطفل في إيذاء الحيوانات الأليفة ، حيث يشعر بعض الأطفال حين تهرب أمامه قطة بنشوة الانتصار، كما أن بعضهم يسحق نملة وقعت رجله عليها سحقاً مع التمتمة ببعض الكلمات التي قد تكون غير لائقة .. إن في إمكاننا أن نجعل من تدريب الطفل على الرفق بالحيوانات والعناية بها تدريباً على رحمة الإنسان والتسامح معه ومساعدته، ويمكن أن نذكر للطفل الأحاديث الشريفة الواردة في هذا المعنى ، كما هو الشأن في المرأة التي

منعت هرة من الطعام ، فدخلت بها النار، والشأن في الرجل الذي سقى كلباً عطشان، فأدخله الله بذلك الجنة .. نحن في زمان تشتد فيه الأنانية ، ويشتد فيه الشعور بالقوة والسعي الحثيث نحو المصلحة ، وهذه كلها تدفع باتجاه العدوان ، وتولِّد المشاعر العدائية ، ولهذا فإن معالجة المشكلة يجب أن تكون حضارية في المقام الأول .





الطفل العنيد

لعل مشكلة عناد الأطفال من أكثر المشكلات حضوراً في حياة كثير من الأسر العربية ، حيث نجد أن كلمة (عنيد) وعبارة (رأسه يابس) ، و(لا يعمل إلا الذي في باله) من أكثر ما تتداوله الأمهات حين يتحدثن عن أولادهن في مسامراتهن المتكررة ، ويفيد بعض الدراسات أن (العناد) يكون شيئاً رئيسياً لدى معظم الأطفال الذين يحتاجون إلى علاج نفسي .

ما العناد ؟

الطفل المطيع هو الذي يفعل ما يطلبه منه أبوه ، وما تطلبه منه أمه في الوقت المحدد، تقول الأم : قم الآن واذهب إلى سريرك ، فإذا رفض الذهاب، فهذا عناد ، وإذا تأخر في الذهاب، فتأخره أيضاً نوع ثانٍ من العناد ، وإذا ذهب بتثاقل وتذمر وتجهم ، فهذا لون ثالث ، وإذا أبدى استعداداً لضرب من يأمره بشيء لا يريده أو شتمِه ، فهذا لون شديد من ألوان العناد ، ويبلغ العناد ذروته حين يفعل الطفل عكس ما يُطلب منه ، وذلك مثل أن يؤمر بالكف عن الكلام فيصرخ ، أو يؤمر ببلع لقمة ، فيرفع يده ويخرجها من فمه...

ما سن العناد ؟

تمر السنتان الأوليان من عمر الطفل بسلام في غالب الأحيان ، فالدراسات تشير إلى أن ظاهرة العناد كثيراً ما يظهر لدى الأطفال بعد سن الثانية والنصف ، ويشتد خلال السنة الثالثة والرابعة ، ويبدأ بالتلاشي عند سن الخامسة إذا أحسن الأبوان التعامل معه ، وتصرَّفا بالشكل المناسب

هل من العناد ما هو طبيعي ؟

إن لكثير من مشكلات الأطفال ـ وأيضاً الكبار ـ وجهاً إيجابياً ودلالة حسنة ، ولا يشكل (العناد) استثناءً من ذلك ، فالطفل حين يُبدي قدراً معقولاً ومألوفاً من الممانعة والعصيان يرسل إلينا رسالة مضمونها: أنه بدأ يشعر بنفسه ، وصار يتكلم وينتقل من مكان إلى آخر ، وهو يريد أن يستقل عمن حوله ، ويقلل من درجة اعتماده عليهم، إنه يريد من الآخرين أن ينظروا إليه شيئاً فشيئاً على أنه شخص معتبر، ويستحق الاحترام .

إ ن علينا ألا نبدي الابتهاج إذا رأينا الطفل مستكيناً مطيعاً ، لا يكاد يفارق والدته ... فهذا قد يدل على تأخر في نموه النفسي والعقلي .

المشكل الذي يواجه الأسر في هذا السياق هو عدم التفريق بين العناد الطبيعي والصحي وبين العناد الذي يحتاج إلى معالجة ، ومن المؤسف أنه ليس هناك معايير دقيقة يمكن الرجوع إليها ، لكن الأمهات يستطعن من خلال جلساتهن الطويلة مع بعضهن مقارنة أحوال أبنائهن والخروج بشيء يمكن الاعتماد عليه .

مظاهر العناد لدى الأطفال :

١ـ يُظهر الطفل رفضاً للأوامر والنواهي الصادرة عن أبويه أو أحد إخوته الكبار : تقول الأم لابنتها : اغسلي يديك قبل الطعام ، فترفض ذلك، وتباشر الأكل ، ويقول الأب لابنه : أغلق باب غرفتك بهدوء، فيغلقه بقوة فيزعج من حوله ....

٢ـ التأخر في أداء المهام والتلكؤ في تنفيذ ما يُطلب منه ، فإذا قال الأب لطفله : اذهب إلى النوم ، أو أغلق التلفاز ، فإنه يفعل ذلك على مضض وبعد مدة ، لأن عناده لا يسمح له بالقيام بما يُطلب منه بسلاسة وأريحية .

٣ـ ممارسة سلوكيات غير لائقة مثل الإصرار على كشف عورته أمام الآخرين والتلفظ بألفاظ بذيئة ...

٤ـ الغضب لأتفه الأسباب ، وكم رأينا من طفل يغضب، ويترك المائدة لأن أخاه جلس في مكان يحب هو أن يجلس فيه ، أو أخذ ملعقة معينة، يعتقد أنها ملعقته ....

٥ـ تعدي الطفل على الآخرين وتجاوز حدوده ، وذلك كأن تقسم الأم طبق الحلوى بين أولادها ، فيُصرُّ الطفل العنيد على أن يأخذ قطعة الحلوى التي في يد أخته ، أو يصر على مشاهدة شيء في التلفاز ، ولو كانت رغبة الجميع مخالفة لذلك .

٦ـ رفض التفاوض والتنازل عن أي شيء يعتقده ، ورفض المصالحة مع إخوته وغيرهم ، إن العنيد يكون صاحب مواقف جدية ونهائية ورؤيته – في نظره – دائماً صواب وقطعية .

٧ ـ يختلط العناد أحياناً بالعدوانية ، فترى الطفل العنيد يتسلط على الخدم ويقوم بإيذائهم ، كما أنه يُؤذي الحيوانات الأليفة ، ويُظهر نوعاً

من التكبر والاستعلاء على الضعفاء .

أسباب العناد لدى الطفل :

نفوس الصغار والكبار عبارة عن لوحة كثيرة التفاصيل متداخلة الألوان ، ومن ثم فإن معرفة السبب الحقيقي الكائن وراء عناد طفل بعينه ، ليس بالأمر اليسير ، ولاسيما حين يكون المربي أمياً أو محدود الثقافة ، ومع هذا فإن معرفة أسباب هذه الظاهرة تساعد كثيراً في عمليات الحدس التي يمارسها الأبوان في محاولة استكشاف شخصيات أبنائهم ، ولعل من أهم أسباب ما نتحدث عنه الآتي :

١ ـ تقييد حركة الطفل .

إن الله ـ تعالى ـ فطر الطفل على حب الحركة حتى تنمو عضلاته، وحتى يكتسب الخبرات التي تمكّنه من العيش السوي، وهو يظن في البداية أن من حقه فعل ما شاء ، وأن كل شيء آمن ، ولا يعرف أن في انتظاره ألف قيد وقيد ، ولهذا فإنه كلما كثرت المواقع التي يصطدم بها زادت درجة العناد لديه ،هذا و القيود نوعان :

قيود مادية مثل ضيق مساحة المنزل وكثرة التحف والأشياء والأدوات التي لا يصح للطفل لمسها .

قيود معنوية : وهي القيود المتمثلة في عدم محاورة الطفل والتواصل معه وضعف الاهتمام به ... إن كثرة القيود على الطفل إلى جانب إهماله تؤدي إلى رفع درجة التوتر لديه ، ومع التوتر العالي يأتي العناد ومحاولة استرداد الذات المنتهَكة ...

٢ ـ أحياناً يأتي العناد من شعور الطفل بالضعف الشديد بسبب شعوره بأنه مظلوم وممتَهن من قبل أحد الذين يعيش معهم ، كما يكون العناد

نتيجة للتوجيهات المثالية والمطالب التعجيزية من قبل الأبوين حيث ترتفع درجة التوتر لديه، ويبدأ بتفريغه من خلال السلوك العدواني ومن خلال المعاندة الشديدة، تقول إحدى الطبيبات: تقدم لي بعد تخرجي من كلية الطب الكثير من الخطَّاب، وكنت أرفض الزواج رفضاً قاطعاً، وذلك لشعوري بأن كل الرجال ظلمة وقساة وسبب هذا الشعور هو (أبي) حيث إنه طلق والدتي وأنا في الخامسة من عمري، وتزوج بامرأة نظرتْ إليّ على أنني امتداد لوالدتي، فعاملتني بقسوة شديدة، وكان أبي ضعيف الشخصية، وطالما ضربني بسبب كلامها عني وعن تصرفاتي، ومع أنني أعترف أنني ذات طبيعة صعبة، إلا أن المؤامرات التي كانت تدبرها زوجة أبي لي جعلت مني إنسانة عنيدة وعدوانية جداً، وعلى الرغم من بلوغي الخامسة والثلاثين إلا أنني أشعر بأنني ما زلت صلبة وشرسة أكثر بكثير مما هو مألوف.

٣ـ عدم تلبية الاحتياجات الملحة للطفل تحوِّله إلى شخص عنيد، وذلك لأن الشعور بالعوز الشديد إلى شيء، يخلّ بالاتزان النفسي، مما يؤدي في العديد من الحالات إلى العناد بوصفه منبهاً إلى وجود شيء غير طبيعي في حياة الطفل، وتلك الحاجات مثل الجوع الشديد ومثل الشعور بالألم والشعور بالإرهاق، إن الجائع يحتاج إلى الطعام والمرهَق يحتاج إلى الراحة، ومن الممكن أن يظهر في سلوكه العناد وعلى تحركاته التوتر إلى أن تُقضى حاجته.

٤ـ لتقليد الكبار نصيب في دفع الطفل إلى أن يكون معانداً، فالذي يرى أخاه الكبير يرفض طلبات أبيه، ويرى أباه مصراً على رأيه في الكثير من شؤون الأسرة ... يظن أن هذا هو السلوك المناسب واللائق بالكبير، وإن كل شخص يود أن يصبح كبيراً، والحقيقة أن في

إمكاننا أن نقول : إن الإنسان كائن مقلد .

٥- في بعض الأحيان يكون العناد رد فعل على حالة نفسية سيئة للطفل، وذلك كما لو أنه كان يشعر بالغيرة الشديدة من أخ أكبر أو أصغر منه ، وكما لو كان يشعر بالإحباط والمنافسة الشديدة والعجز والكسل والملل ... إن الشعور بهذه الأمور يقلل من لياقة الطفل في التعامل مع ما يسمعه ، وما يراه ، وما يطرأ عليه من ظروف ، وحينئذ فإن الرفض والسلبية هو أول ما يخطر في باله وأول ما يبدو في سلوكه بطريقة غير شعورية ، لأنه غير مُكْلِف ، ولا يحتاج إلى أي عمل .

كيف نتعامل مع الطفل العنيد ؟

الفطرة التي فطر الله الناس عليها كثيراً ما تكون عبارة عن استعداد لقبول الخير واستعداد لقبول الشر ، وهذا واضح فيما صح عنه - صلى الله عليه وسلم - إذ يقول : (كل مولود يولد على الفطرة فأبواه يهودانه أو ينصرانه أو يمجسانه) فالأبوان هما اللذان يصوغان عقيدة الطفل وكثيراً من رغباته وعاداته ، ومن هنا **فإن فطرة الطفل لا تستطيع الدفاع عن نفسها ، ولا بد لبقائها خيِّرة موافقة لنهج الإسلام من رعاية وعناية وتهذيب ، وإنما أقول هذا الكلام لأن كثيراً من الناس حين يتحدثون عن (عناد) أبنائهم : يقولون : إنه عنيد ، ولا فائدة من التعب معه ، وهذا كله غير صحيح ، فقد تبين لنا من الحديث عن أسباب العناد أنه مكتسب بسبب التعامل الخاطئ مع الطفل وبسبب الظروف غير المواتية التي يعيش فيها** ، من هذا المنطلق أود أن أشير في التعامل مع عناد الأطفال إلى الأسس التالية :

١- لعلي أشير إلى شيء مهم ، هو أن البيئة التربوية الجيدة تساعد

الأطفال على أن يحيوا حياة سوية وطيبة ، كما أن البيئة التربوية السيئة، تساعد على نشوء عدد كبير من المشكلات النفسية والسلوكية لديهم، ولهذا فإني سأتحدث هنا بإيجاز عن بعض الأمور المهمة التي تشكل بيئة تحول ـ بإذن الله ـ دون وقوع الطفل في العديد من المشكلات ، ومن هذه الأمور الآتي :

أ ـ المعاملة بالمثل : حين نستجيب لطلبات الطفل المعتدلة والمعقولة، فإننا نجعله يشعر في أعماقه بالامتنان لنا ، وكثيراً ما يتمثل شكره لاستجابتنا لطلباته بالاستجابة لطلباتنا ، فقد فطر الله ـ تعالى ـ البشر على أن يقابلوا الكرم والصفح والمعاونة بكرم وصفح ومعاونة ...

ب ـ التواصل المستمر : يحتاج كل الأطفال إلى الشعور بعطفنا وحبنا واهتمامنا بهم ، ولهذا فإن تخصيص الأب وقتاً يومياً (ولو عشر دقائق) للتواصل مع أولاده ومداعبتهم والسؤال عن أحوالهم .. من الأمور المهمة جداً في تقليل رفض الأبناء لما يطلبه منهم ، تماماً كما هو الشأن في رفض الصديق لطلبات صديقه الحميم .

ج ـ خطاب لطيف : يمكن لكل خطابنا للأطفال أن يكون بطريقتين: طريقة فيها تسلط واستعلاء وجفاء ، وطريقة فيها وضوح وحزم مع لطف ، وإذا كان من الممكن أن نتبَّع الثانية ويحصل ما نريد ، فلماذا نتبَّع الأولى ؟ إن الطلب بلطف لا يثير روح العناد والمقاومة لدى الطفل،لكن حين نطلب منه أن يفعل شيئاً ما أو يكف عن شيء ما بقسوة ، فإن آليات الدفاع عن الذات تشتغل آنذاك بطريقة لا شعورية، ويبدأ الرفض والعناد ... يقول أحد الشباب : لا أذكر أنني وقفت أمام أبي موقف مجابهة ، أو عصيان ، مع أنني أكبر إخوتي وضيوف والدي الذين يحتاجون إلى خدمة كثيرون ، وذلك ـ حسب ظني ـ

لأن والدي كان يخاطبني بأسلوب دمث ورقيق جداً ، وطالما قال لي: لو سمحت يا خالد (هات لي كأس ماء) ...(من فضلك اخفض صوت التلفاز)...(أعرف أنني أثقلت عليك بكثرة الطلبات ، ولكن شهامتك تشجعني على أن أطلب منك مالا أطلبه من غيرك) ... إنه يحرجني بكلامه، وأنفِّذ ما يقوله وأنا راغب وبحماسة شديدة ..

د ـ لا للحشر في الزاوية : كثيراً ما ينشأ عناد الطفل من حصرنا له في الزاوية الضيقة ، وذلك حين نطلب منه تنفيذ أمر من الأمور بسرعة وبلهجة صارمة ودون أن نترك له أي خيار أو أي بديل ودون أن نستشيره فيه ، إن هذا الأسلوب في الخطاب ينطوي على الإهانة للطفل ، ومن ثم فإن الرفض والعناد يكون أمراً متوقعاً . الأسلوب الجيد هو ما كانت تتبعه إحدى الأمهات حين كانت تقول لابنها : بقي لذهابك إلى غرفة النوم عشر دقائق ، وحين كانت تقول له : تحب أن تأتيني بكذا وكذا من البقالة الآن أو بعد العصر ، وحين كانت تقول له : إذا تضايقت من طلب من طلباتي ، فأرجو أن تعبِّر عن ذلك بصوت مسموع .

هـ ـ فضيلة التعليل : استخدام التعليل وشرح أسباب ما نطلبه يسهِّل على الطفل الاستجابة لنا حين نطلب منه شيئاً ، أو ننهاه عن فعل شيء، والحقيقة أن لتعليل كلامنا مع الأطفال فائدتين أساسيتين : الأولى : حفظ كرامة الطفل ومراعاة مشاعره : فنحن حين نقول له: قم ونم الآن حتى تستيقظ إلى صلاة الفجر نترك له الفرصة ليقول في نفسه ، أو بصوت مسموع : أنا مهما سهرت أستطيع الاستيقاظ لصلاة الفجر ، أو ليقول : قد نمت كثيراً في النهار ، ويكفيني القليل من النوم في الليل ، أو ليقول : عندي منبه قويّ ، يوقظني إلى الصلاة

مهما كنت ناعساً ... وهذا مع أنه يترك له فرصة للجدال والتماس العذر لعدم الذهاب إلى النوم يقوِّى لديه الحسّ الأخلاقي ، حيث نرسل له خلال التعليل رسالة مفادها : إذا لم تقتنع بما أقول لك ، فقل لي رأيك ، وهذا ينمِّي في نفسه الشعور بالمسؤولية .

الثانية : تدعيم التفكير السببي لدى الطفل حيث إننا نربط له بين التوقف عن عملٍ ما وبين ما يترتب على الاستمرار فيه من أضرار، كما لو قلنا للطفل : يكفي ما أكلتَه إلى الآن حتى لا يزيد وزنك، أو حتى تنام بعمق ، لكن من المهم أن ننتبه إلى أن ممارسة أسلوب التعليل قد يترك لدى الطفل انطباعاً بعدم جدية الأب فيما يطلبه وعدم حدوث أي مشكلة إذا لم يقم بما دعاه إلى القيام به ، ولهذا فينبغي أن يعرف الطفل بوضوح أن عليه الإذعان ، والامتثال للنظام المتَّبع لدى الأسرة .

٢ـ التجاهل :

نعني بالتجاهل أن نغض الطرف عن الموقف المعاند للطفل ، وكأن شيئاً لم يكن ، وهذا مفيد جداً في الكثير من الحالات ، فالطفل يرفض القيام ببعض الأعمال من أجل إثبات ذاته أو لفت الأنظار إليه ، وحين نتجاهله نُجهض عناده ونحرمه من استثماره ، وهذا الأسلوب مطبَّق بالفعل لدى الكثير من الأسر ، وكثيراً ما يكون ذلك حين يرفض ابن الخامسة أكل طعام معين حيث يترك المائدة ويتمدد، على الأرض وحين يشعر أنه لا أحد طلب منه العودة إلى المائدة ، وأن الطعام أشرف على النفاد يعود إلى المائدة ويبدأ بالأكل . وقد كانت إحدى الأمهات : تقول لكل أفراد العائلة : إذا رأيتم فلاناً غاضباً أو متذمراً من أمر من الأمور ، فلا تنظروا إليه ، ولا تتحدثوا معه ، وقد نجح

أسلوبها نجاحاً باهراً ، وخفَّ العناد لدى طفلها إلى درجة كبيرة .

٣ـ المكافأة :

يدل العديد من الدراسات على أن قدرة العقل البشري على إدراك السلبيات أعظم بكثير من قدرته على إدراك الإيجابيات ، ومن هنا فإننا نرى عيوب أبنائنا بسهولة ، أما رؤية إيجابياتهم ، فتحتاج إلى اهتمام وانتباه ، **وأعتقد أن البداية تتمثل في عدم نظرتنا لطاعة أبنائنا لنا على أنها شيء متوقَّع وطبيعي ، فالطفل لا يعرف الكثير مما نظنه بديهياً وواضحاً ، ومن هنا فإن علينا أن نُثني على كل امتثال يُظهره الطفل لما نطلبه منه ، كما أن علينا تقديم المكافآت المادية والوعود لشراء شيء يحبه الطفل ، أو أخذه إلى مكان ترفيهي يعجبه ... والغرض من كل ذلك ترك انطباع راسخ في ذهنية الطفل بفوائد الطاعة .**

٤ـ العقاب :

لا يستغني أي مربٍ مهما كان ابنه هادئاً ومتفهماً عن استخدام العقاب في بعض الأحيان ، والذي لا يعني بالضرورة الضرب واستخدام العنف . إذا كانت (المكافأة) تجعل الطفل يشعر بفوائد الطاعة ، فإن (العقاب) يجعله يشعر بأضرار العناد ، وقد ذكر أحد الآباء شيئاً من الأسلوب الذي اتبعه في معالجة العناد لدى ابنه ، وذلك حين قال : كان ابني (سعد) صعب الطباع ، وكان ينظر إلى المسؤوليات التي عليه القيام بها بنوع من الاستخفاف والإهمال ، ومن ثم فإني أوضحت له الأمور التالية :

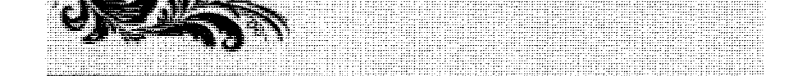
- الذهاب إلى النوم يكون في الساعة التاسعة، وإن كل ربع ساعة تأخير عن ذلك الموعد سيعني أن يذهب إلى الفراش في اليوم التالي قبل الموعد المحدد بعشرين دقيقة .

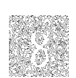
- في كل مرة يرفض أداء المهمة التي كلَّفته بها والدته يتم حرمانه من مصروف يوم في الأسبوع التالي .

- إذا تأخر عن الموعد المحدد للعودة إلى المنزل مدة تزيد على نصف ساعة فإن عقوبته هي المنع من الذهاب مع أصدقائه في يوم قادم .

يقول الأب : في البداية وجدت صعوبة بالغة في تطبيق العقوبة حيث أظهر الطفل تقبله للعقوبة دون أن يغير طباعه ، لكن بعد شهرين أو ثلاثة شعرت بأن الأمور تحسنت ، وتخلَّص الولد من ٧٠٪ من عناده على الأقل ، وهذا إنجاز كبير!.

إن من المهم ألا ننظر إلى عناد الطفل على أنه شيء مؤقت سوف يزول حين يبلغ السادسة أو السابعة ، فالدراسات الكثيرة تدل على أن إهمال معالجة العناد قد يجعل الطفل عدوانياً أو مضطرباً نفسياً حتى بعد أن يتجاوز العشرين . بالصبر والمثابرة يمكن لأمور سيئة كثيرة في حياة الصغار أن تزول ، وتتغير.





■ الأنانية

مشكلة الأنانية من المشكلات الشائعة في البيوت حيث نجد أن كثيراً من الآباء والأمهات يشكون مرَّ الشكوى من أن بعض أبنائهم يريدون الاستحواذ على كل شيء ، وهم لا يعرفون أي فارق بين أن يكون هذا الشيء لهم أو لغيرهم ، كما يشكون من أن أطفالهم شبه متوحشين ، فهم لا يعرفون معنى المشاركة في الطعام أو اللعب أو القراءة ... وقبل أن نلج في أعماق الموضوع أود أن أشير إلى شيء مهم ، هو أن من طبيعة التقدم المادي والعمراني أنه يزيد في درجة الأنانيةوحب الاستحواذ لدى الكبار من خلال تذوقهم معنى الرفاهية وانفتاح وعيهم على مصالحهم الخاصة، وهذا يدفعهم إلى أن يكنفئوا على أنفسهم ، ويميلوا إلى جعل أفراحهم فردية عوضاً عن أن تكون جماعية كما أن معاني (المحاصَّة) تتعمق ، وتصبح نبرة المطالبة بالحقوق أقوى على حين أن الاهتمام بأداء الواجبات يظل شيئاً شخصياً أو خاصاً، ولا ريب في أن الصغار سوف يتعلمون كل هذا من الكبار ، وهذا يعني أن مشكلة (الأنانية) لدى الأطفال ربما كانت في طريقها إلى المزيد من التضخم ما لم ننتبه جميعاً ، ونبدأ في توفير الأفكار والآليات التي تساعد الصغار والكبار على أن يفكروا

في غيرهم ويتواصلوا معهم ، ويمدوا لهم يد المعونة .

ما الأنانية ؟

الأنانية أو(التمركز حول الذات) هي ذلك الحب المفرط للذات، والحب المفرط لتملك الأشياء والاستيلاء عليها مع عدم الموافقة على إشراك أي شخص آخر بالانتفاع بها ... إن الطفل خلال الأشهر الثمانية عشرة الأولى من عمره يتصرف وفق المفهوم التالي : كل ما تقع عيني عليه ، وكل ما تصل يدي إليه فهو ملكي ، وليس لأحد أن ينازعني فيه مهما كانت الظروف ، ومهما كانت حاجته ، إنه يبدأ رحلة الحياة بالتعرف على نفسه، ويظن في البداية أنه وحده في هذا العالم ، وينظر إلى كل ما حوله من أفق رؤيته الشخصية . تشتد الأنانية لدى الطفل في عامه الثالث وعامه الرابع، ويكون مؤمناً بقوة في المشاركة في عامه السابع وعامه الثامن ، وقد يقول قائل : لماذا ننظرإلى أنانية الأطفال على أنها مشكلة ، مادام الطفل سوف يتخلَّص منها في نهاية المطاف ؟

الحقيقة أن الإزعاج في الموضوع يأتي من ناحيتين :

الأولى : المعاناة التي يشعر بها الأهل خلال السنوات الست الأولى من حياة الطفل حيث يقعون في الحرج عشرات المرات بسبب امتناع الطفل الأناني من السماح لأبناء الضيوف والجيران والأقرباء من الاقتراب من ألعابه وأدواته الشخصية وبسبب المشاكسات بينه وبين إخوته ، حيث يُكثر من البكاء والشكوى كلما امتنع أحد من إخوته الكبار عن منحه أشياءه الخاصة .

الثانية : إمكانية استمرار النزعة الأنانية لدى الطفل وترسخها في شخصيته ليصبح في المستقبل شخصاً شحيحاً سلبياً لا يفكر فيمن حوله ، ولا يفكر إلا في مصلحته الخاصة ، وذلك إذا لم تعامل أسرته نزعتَه هذه بالحكمة والأسلوب الرشيد

أسباب الأنانية لدى الطفل :

١ - الأنانية مكسب اجتماعي :

يشير بعض الدراسات إلى أن تأثير الوراثة في الأنانية محدود ، وأن الطفل يتعلم السلوك الأناني من أسرته على نحو أساسي، ثم من البيئة التي يعيش فيها ، إن الطفل حين يرى إخوته الكبار مهتمين بشؤونهم وحريصين على السيطرة على كل شيء ، فإنه يظن أن هذا هو الشيء الطبيعي، وهو الشيء الصحيح ، وحين يرى الأشياء تُقدَّم له ممن حوله بكرم وسهولة ، فإنه يظن أيضاً أن هذا هو الشيء الصحيح ، وقد أدرك هذا المعنى كثير من الأمهات الفاضلات حيث إنك تجد الواحدة منهن تشجِّع صغيرها على أن يُطعم أبناء الضيوف شيئاً مما في يده ، أو تحثه على أن يسمح لهم باللعب بدراجته ، أو الدخول إلى غرفته .... وحين يفعل ذلك فإنها تُمطِره بوابل من القبلات وكلمات الثناء .. إن كون الأنانية مكتسب اجتماعي - في غالب الأمر - يحمِّل الأبوين مسؤولية بث معاني الكرم والمشاركة والشهامة في نفوس الصغار من خلال السلوك الشخصي والمواقف السخية .

٢- الشعور بالضعف والإهمال :

حين يشعر الطفل بأنه ضعيف أو مهمَل من قبل المحيطين به ، فإن من المتوقع أن يتقوقع على نفسه ويهتم بشخصيته وأشيائه ،إن الشعور

بالضعف قد يكون بسبب خوف الطفل من عدوان الآخرين عليه ، أو بسبب خوفه من تكرار اضطهاد حدث له حيث يشعر أن اللعب مع الآخرين ومشاركتهم قد يعرِّضه لمثل ما تعرَّض له من الأذى .

شعور الطفل بالإهمال من قبل أبويه وإخوته الكباربسبب اهتمامهم بشؤونهم الخاصة يحفزه على التقليد : ما دام الجميع مشغولين بأنفسهم فلماذا لا أكون كذلك ؟ . والشعور بالإهمال يجعله أيضاً ينظر إلى الأشياء التي يمتلكها على أنها ملاذ يلوذ به حيث لا يتوقع الكثيرَ من غيره ، ومن هنا فإن الحرمان من العاطفة الجياشة والأحضان الدافئة والحرمان من المساندة الأسرية ، من العوامل المهمة في تأجيج نار الأنانية في نفوس الأطفال.

٣ـ الدلال الزائد

يقولون : الشيء إذا زاد على حده انقلب إلى ضده ، وهذا القول : لا يصدق على شيء كصدقه على أسلوب تربية الأبناء حيث إن التوازن والاعتدال من القواعد الأساسية في التربية .

الطفل المدلل يتلقَّى عناية زائدة وحماية مبالغاً فيها من قبل أسرته ، إنها تقدم له كل شيء ، ولا تطلب منه أن يقدم أي شيء ، فيحدث لديه نوع من الاكتفاء الذاتي ، والعزوف عن مخالطة الآخرين أو مشاركتهم ، وأحياناً يؤدي الدلال الزائد إلى شعور الطفل بأنه محور اهتمام الآخرين ، وهذا يقوِّي لديه الشعور بالأنانية .

كيف نعالج السلوك الأناني ؟

١ ـ تنمية روح المشاركة :

ذكرنا أن الأنانية عبارة عن استغراق في الشأن الشخصي ، وانكفاء

على الذات ، ومن ثم فإن تقوية روح المشاركة لدى الطفل ستجعله يشعر بالآخرين، ويعمل على مراعاتهم ، ويلمس منافع ومسرات الاحتكاك بهم ، إن (اللعب الجماعي) من أفضل ما ينمِّي روح المشاركة ، وذلك لأن اللعب الجماعي يعرِّف الطفل على معنى التعاون مع فريقه ، كما يعرِّفه على معنى العدل ، ويجعله يشعر ببعض ميزات من يلعب معهم بالإضافة إلى أن اللعب يتطلب بذل الجهد وذوق معنى التعب والمعاناة ، وكل هذه المعاني مما يُضعف التمحور حول الذات، كما يُضعف القطيعة مع الآخرين ، فإذا وسَّع الله على الواحد منا فليخصِّص مكاناً مناسباً للعب الأطفال ، وليرحب بأصدقاء الطفل وأبناء الجيران كي يلعبوا مع بعضهم .

٢ـ الثقة بالنفس :

كثيراً ما يدفع الشعور بالضعف والعجز والشعور بالإحباط .. الطفلَ إلى أن يكون أنانياً ،إن هذه المشاعر تجعل الطفل غير قادر على التواصل مع نظرائه من الأطفال وغير قادر على الوفاء بالتزاماته والعهود التي يقطعها على نفسه ، ولهذا فإنه يتصرف وكأنه يعيش وحده دون أي اعتبار للآخرين، هذا يعني أن على الأبوين وعلى المعلمين كذلك التحدث مع الطفل حول ما لديه من نقاط قوة وميزات، وما يملكه من قدرات ومهارات بالإضافة إلى الثناء على كل نجاح يحققه . بعض الأطفال لديهم قدرة على التحدث بطلاقة ، وبعضهم دائم الابتسامة، وبعضهم يعرف كيف يرحب بضيوفه ، وبعضهم لديه تفوق في الدراسة ، كما أن منهم من يحفظ الكثير من كتاب الله ،ومنهم من يقرأ ويطالع بشغف ... وإن في إمكاننا أن نتخذ من هذه الميزات والفضائل نقطة ارتكاز من أجل تقوية ثقة الطفل بنفسه ، وإنما نقول

هذا الكلام لأن كثيراً من المواقف الأنانية يكون عبارة عن تعويض عن الإحساس بالنقص تجاه بعض الأمور . على الأبوين إلى جانب الثناء والتحفيز تقبل الطفل على ما هو عليه ، وهذا هو المعنى العميق للحب غير المشروط ، فالطفل ابنهما مهما كان شكله ، ومهما كانت أخلاقه وأوضاعه ، ومن المهم أن يُشعراه دائماً أنه موضع ترحيب في الأسرة، وأن الله ـ تعالى ـ رزق أسرته به كرماً وجوداً منه ؛ وهذا لا يعني بالطبع عدم مناصحته عند الحاجة

٣ـ احترام الآخرين :

الأناني لا يهتم إلا بنفسه ، وقد يشعر أنه مركز الكون ، وأن الآخرين ليسوا بشيء، ومن هنا فإن غرس معاني الاحترام للآخرين في نفوس الأطفال مما يخفف من السلوك الأناني ، ويولِّد لديهم معاني التعاطف والاهتمام . أحد الآباء كان يقول لأبنائه : إن المؤمنين إخوة ، وإن من شأن المؤمن أن يحب الخير لأخيه المؤمن ، ويدعو له بالصلاح والتوفيق، كما أن بين معارفنا وأقربائنا من هم أفضل منا ديناً وخلقاً، ومن هم أكثر مالاً منا ، ووظائفهم أفضل من وظيفتي ... أب آخر كان يستغل بعض المناسبات ليوضح لأبنائه أهمية بعض الأشخاص الذين تعود الناس النظر إليهم باستخفاف ، فقد حدث أن تغيب العمال الذين يقومون بتنظيف الشوارع ونقل القمامة غياباً جماعياً، وكانت النتيجة هي تكدس الأوساخ في الحي وانتشار الحشرات والروائح الكريهة ، وهنا وضَّح الأب لأولاده أنه ليس هناك شخص أو تخصص غير مهم ، ولكن الواحد منا لا يعرف قيمة الخدمات الموفَّرة له حتى يفقدها ...

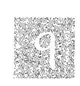
إن التعاطف مع الناس وسيلة أخرى لمعالجة الأنانية لدى الطفل ،

التعاطف يعني أن نفهم الآخرين، ونتفاعل مع ظروفهم وأوضاعهم وفق رؤيتهم لها ، وقد كانت إحدى الأمهات تشفق دائماً على العاملة التي كانت تساعدها في تنظيف المنزل ، وكانت تتعمد أن تقول لابنتها: إن الله ـ تعالى ـ يحب منا أن نتعاون مع الناس الذين يساعدوننا على قضاء حاجاتنا، وأن نحسن إليهم ، وفي إحدى المرات قالت لها إحدى بناتها : أمي إن فلانة تخدمنا وتساعدنا فعلاً لكنها تأخذ أجرة ذلك ، وإذا كانت الأجرة منخفضة ، فهذا ليس ذنبنا وإنما ذنبها ، لماذا لم تتعلم حتى تجد وظيفة رفيعة ...؟

هنا قالت الأم : هذه المرأة نشأت يتيمة، ولم يكن لديها المال حتى تكمل تعليمها ، وحين بلغت العشرين تزوجت بواحد من أبناء حيها، وبعد سنة طلقها لأنه تبين له أنها عقيم لا تنجب ، ومن ثم فإنها اضُّطرت إلى العمل في بيوت الناس حتى تؤمِّن لقمة عيشها، ومن ذلك اليوم زاد تعاطف كل الأولاد مع تلك المرأة ، وصاروا يحثّون أمهم على زيادة الأجرة لها لأنها تعول والدتها المريضة !

إن علاج الأنانية لدى الطفل يمكن أن يكون مدخلاً لتحسين الوضع الأخلاقي للأسرة كلها ، وذلك من خلال تشرب الصغار لروح التسامح والتعاون والشعور بمشاعر الآخرين ، وهذا يتم من خلال وعي الأبوين بقيمة هذه المعاني ومن خلال سلوكياتهما القائمة عليها.





الخجل

ظاهرة الخجل ظاهرة واسعة الانتشار حيث يشير بعض الدراسات إلى أن نحواً من ٤٠٪ من المراهقين والراشدين يذكرون أنهم يشعرون بالخجل في العديد من المواقف الاجتماعية . ولا بد لي في البداية من أن أُزيل اللبس الذي يقع فيه كثير من الناس حين يخلطون بين (الحياء) و (الخجل) إذ إن الحياء شيء ممدوح ، وهو ـ كما ورد في الحديث الشريف ـ شعبة من شعب الإيمان ، وإنما كان كذلك لأنه يعبر عن تمتع صاحبه بالسمو والاحتشام والتحلي ببعض القيم الرفيعة ، ومن هنا فإن الطفل الصغير قد يستحي من خلع ملابسه الداخلية أمام والديه ، وقد يجد حرجاً في التحدث أمام الكبار ، كما أنه يشعر بحرج مماثل حين يمدحه أهله أمام الناس مدحاً مبالغاً فيه ... إن كل هذا ممدوح ومرغوب فيه .

ما الخجل ؟

هو درجة عالية من الارتباك والخوف والانكماش ، يشعر بها الطفل حين يلتقي بأشخاص من خارج محيطه؛ ويتجسد خجل الطفل في العديد من المظاهر والمواقف منها :

١ـ يحاول الطفل الخجول أن يتجنب اللقاء بالناس من خارج أسرته قدر الإمكان، وحين يتحدث إلى شخص غريب، فإنه يتحاشى النظر إليه، ويشعر بالرهبة حين تقع عينه على عينه

٢ـ الطفل الخجول قد يكون نشيطاً ومنفتحاً في داخل المنزل، أما في خارجه، فإنه يميل إلى الانطواء، بل قد يصل به الأمر إلى أن يغطي وجهه بيده أو يدفن رأسه في حجر أمه لئلا يرى أحداً، ولا يراه أحد.

٣ـ ثقة الطفل الخجول بنفسه منخفضة، ولهذا فهو كثير التردد في أن يُلزم نفسه بأي شيء، ولا يميل إلى المبادرة أو الإقدام على التطوع في أي نشاط خيري.

٤ـ ينسحب الطفل الخجول من المواجهة مع الآخرين، ولا يستطيع الاستمرار في معالجة المشكلات الصعبة.

٥ـ يواجه الطفل الخجول صعوبة في طرح الأسئلة على معلميه، ويجد صعوبة أخرى في المشاركة والإجابة على أسئلة أساتذته.

٦ـ من النادر أن يكون الطفل الخجول مشاغباً أو مصدراً للمشكلات، ولهذا فإنه لا يلفت إليه الأنظار، ويعاني مع مشكلاته الشخصية دون أن ينتبه إليه أو يساعده أحد.

٧ـ يميل الطفل الخجول إلى الجلوس في الزوايا الميتة، كما يميل إلى التقليل من الكلام، وحين يتحدث فإنه يتحدث بصوت منخفض.

٨ـ الطفل الخجول شديد الحساسية للنقد، ولا يُحسن التعبير عن نفسه بسبب الارتباك العام الذي يشعر به.

٩ـ لا يميل الطفل الخجول إلى اكتساب الخبرات الجديدة، ويجد حرجاً شديداً في الانخراط في الألعاب الجماعية، ولهذا فإنه لا يكتسب إلا

القليل من الخبرة، ولا ينال إلا القليل من الثناء من معلميه ورفاقه .

أسباب الخجل :

١ـ يرى بعض العلماء أن فسيولوجية الدماغ تهيِّئ الأطفال المصابين بالخجل لتلك الاستجابة ، ومن هنا فإننا نستطيع أن نقول: إن للوراثة أثراً واضحاً في مشكلة الخجل لدى الأطفال ، والمشاهدة تؤكد ذلك، وقد لمست بنفسي كيف يمكن لشخص واحد أن يورِّث الخجل لعشرين أو ثلاثين من الأولاد والأحفاد .

٢ـ الافتقار إلى الشعور بالأمن :

إن الطفل حتى يخالط الناس على نحو طبيعي يحتاج إلى قدر جيد من الشعور بأنه آمن ومحترم وقادر على تحقيق الفوز والنجاح ، فإذا فقَد هذه المعاني أو بعضها سيطرت عليه مشاعر الخوف من الانكسار والهزيمة ، وصار يشعر بأن العزلة تشكِّل له الحماية التي ينشدها ، وأسباب عدم الشعور بالأمن عديدة من أهمها الآتي :

أ ـ الخلافات المستمرة بين الأبوين تثير لدى المراهق مشاعر الخوف والأسى بسبب ما يمكن أن يحدث من تفتت الأسرة أو تعرض أحد الأبوين لإيذاء شديد من الطرف الثاني ، وهذا يجعله يشعر بالخجل وقد يدفعه نحو الانطواء

ب ـ إهمال الوالدين ، وانشغالهما عن طفلهما قد يؤدي إلى إحساسه بالخجل، وذلك لأن الأبوين هما اللذان يعرِّفان الصغير على نفسه، فإذا اهتما به شعر بأنه مهم وجدير بالاهتمام ، وهذا يُكسبه الثقة والجرأة ، وإذا أهملاه ، وانشغلا عنه ، فإنه قد يشعر بأنه لا يستحق اهتمام الآخرين ، وهذا يجعله ينكفئ على نفسه ، ويخشى من مشاركة

الناس والتواصل معهم .

ج ـ بعض الآباء يحمون أطفالهم حماية زائدة ، إنهم يخافون عليهم من كل شيء ، ويريدون منهم أن يظلوا إلى جوارهم ، ولا يحمّلونهم أي مسؤوليات، وكثيراً ما يحدث هذا حين يكون الطفل وحيداً لأبويه، ومن الواضح أن الحماية الزائدة ترسل للطفل رسالة ، مضمونها : إنك لا تستطيع الدفاع عن نفسك ولا تدبير شؤونك بمفردك ، وعلينا أن نتكفل بذلك؛ ويلتقط الطفل الرسالة ، ويتصرف بناء على ما فهمه ، إن الطفل لا يستطيع أن يثق بنفسه في غالب الأمر إذا لم يتعامل معه أبوه على أنه موثوق ، وإن مخالطة الناس والتحدث إليهم من الأمور التي تحتاج إلى درجة من الإيمان بالقدرة الشخصية على التواصل معهم ..

د ـ نبذ الطفل بالألقاب والنقد الشديد له أمام الناس والسخرية منه... من الأمور التي تدفعه إلى الخجل بسبب ما يولِّد لديه ذلك من إحباط واستخفاف بالذات .

٣ـ الخجل بسبب الإعاقة:

لا يصح لأحد أن يتجاهل ما للإعاقة الجسدية من دور في الانطواء والخجل، ولاسيما إذا كان الطفل يعيش في بيئة جاهلة ومفتقرة إلى قدر جيد من التهذيب ، ولا بد أننا جميعاً رأينا أطفالاً يقللون من الكلام بسبب ما لديهم من عيوب في النطق مثل التأتأة والفأفأة ، كما أننا رأينا من يخجل من الاجتماع بالناس بسبب تصرفاته أو فقده لإحدى حواسه ، وكما نقول دائماً : إن الروح تظل محدودة بحدود الجسد . الإعاقة تجعل المعاق حساساً جداً ، وتغري الآخرين بإغاظته واستثارته ، ويجد الحل في الابتعاد عن جميع الغرباء .

٤ـ أحياناً تتحالف الوراثة مع التربية والمعايشة في توليد بعض المشكلات، حيث إن من المألوف أن نجد في الأسرة الواحدة طفلاً كثير الحركة، يدخل بجرأة على ضيوف أبيه، ويتحدث معهم، ونجد أخاً له يخجل من فتح الباب للضيف أو مناولته كأس ماء ... هذا كله مشاهَد، فالله ـ عزوجل ـ جعل أمزجة العباد متفاوتة تفاوتاً شديداً، أيضاً حين يعيش الطفل بين أبوين خجولين، فإن المتوقع أن يقلَّ تواصل الأسرة كلها مع المحيط الخارجي، ومن الواضح أن الأب الخجول يخشى من كثرة مخالطة الآخرين ويحذر من الثقة بهم، وينتقل كل ذلك إلى أبنائه.

كيف نتعامل مع الطفل الخجول؟

مشكلة الخجل مثل كثير من مشكلات الأطفال، تظل قابلة لحل جذري أو مقبول إذا أحسن الأبوان التعامل معها، ويمكن أن تتطور وترسخ في شخصية الطفل لتصبح ـ حتى بعد أن يصبح رجلاً ـ عائقاً عن أن يعيش حياة طبيعية وسعيدة، وذلك لأن العلاقات الاجتماعية مصدر مهم جداً للسرور والابتهاج، كما يمكن للخجل أن يصبح عائقاً أمام تفوق الطفل في المدرسة وفي مجال العمل حين يصبح شاباً.

المهم ألا نضخِّم المشكلة، فنيأس من معالجتها، وألا نهملها فتكبر، وتصبح خارج السيطرة.

إن مما يفيد في معالجة الخجل لدى الطفل الأساليب التربوية الآتية:

١ ـ أعتقد أن أول عمل علينا أن نقوم به في معالجة الخجل هو القراءة

والمراجعة : القراءة لأفكار الطفل ومشاعره حيث إن الخجل لم يصبح عادة له إلا بسبب بعض المعتقدات لديه وبسبب رؤيته لنفسه وللناس من حوله ، فإذا كان الطفل يخجل ـ مثلاً ـ من الجلوس مع الضيوف لأنه لا يعرف كيف يحييهم علَّمناه بعض كلمات يقولها عند استقبالهم وتوديعهم وخلال مسامرته لهم ، وإذا كان يخجل من إلقاء الأسئلة على معلمه بسبب عيب في النطق قمنا بمعالجته ، وعوَّدناه غض الطرف عنه وهكذا ... أما المراجعة فنعني بها تفحص الجو الأسري الذي يحيط بالطفل ، فقد يكون فيه تدليل زايد أو نقد شديد أو إهمال ملحوظ ... وذلك لأن التخلص من المشكلة يستلزم تجفيف منابعها .

٢ـ تشجيعه على ممارسة الأنشطة الاجتماعية :

شجعه على ممارسة الأنشطة الاجتماعية في المدرسة مثل الانتساب إلى الحركة الكشفية أو اللجان العلمية وحفِّزه على الانخراط في بعض الألعاب الجماعية مع طفلين أو ثلاثة ، وقدِّم له المكافأة المجزية على كل ذلك

٣ ـ حمايته من الكلام المؤذي :

لا تسمح لأحد في الأسرة أن يطلق على الطفل بعض الألقاب التي يمكن أن ترسِّخ المشكلة لديه وذلك مثل لفظ خجول ، ضعيف ، غير اجتماعي ، جبان ، منعزل ... حيث إن كثرة سماع الطفل لهذه الألفاظ تجعله يصدِّقها ، وبعد ذلك يتصرف وفق معانيها .

٤ ـ تدريبه على القيادة والمبادرة :

بعض الأسر تقوم بعمل جيد حين تعقد اجتماعاً كل خمسة عشر يوماً يتم فيه تدريب الأبناء على الخطابة ، كما أن بعض الأطفال يقدمون بعض الأناشيد ذات المعاني الجميلة ، وبعضهم يتحاورون فيما بينهم

في موضوع مهم ، ولا أنسى ذلك الحوار الجميل الذي دار بين اثنين من الأبناء حول المقارنة بين (السواك) و (السيجارة) حيث أخذ أحدهما على عاتقه بيان محاسن السواك ، وأخذ الآخر تبيان محاسن السيجارة ، وكان النصر في النهاية للمرغِّب في السواك طبعاً .

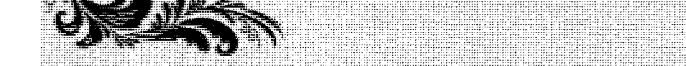
تحميله المسؤوليات :

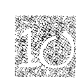
اترك للطفل الحرية في الاتصال بالأصدقاء والأقرباء وكلِّفه بشراء بعض حاجات المنزل حتى يختلط بالناس ، ويتعلم أسلوب المفاوضة والمساومة ، فهذا يكسر حاجز الخوف من التحدث مع الناس .

تعويده حديث النفس الإيجابي:

لو تأملنا في الأفكار المسيطرة على الطفل الخجول ، ولو تأملنا في العبارات التي يرددها في داخله لوجدنا أنها جميعاً تتمحور حول معاني الضعف وعدم الجدارة وانعدام الخبرة ... ومن المهم أن نطرد هذه الأفكار والمشاعر السلبية ، من خلال إحلال بعض الأفكار والمقولات الإيجابية ، اجعل الطفل يردد في نفسه عبارات مثل : (أنا قوي) ، (أنا أعرف كيف أجيب على أسئلة المعلمين) ، (لديّ ما يكفي من المهارة لأن أكون محبوباً وناجحاً) ، (كل الناس يخطئون ، ويتعلمون من أخطائهم) ، (أنا لست أقل من غيري في أي شيء) ... إن هذه العبارات وأمثالها ، تغير في علاقة الطفل مع نفسه وفي فهمه لذاته ، مما ينعكس على سلوكه وتصرفاته .

إن الخجل لا يشكِّل أزمة أو معضلة كبرى إذا تعاملنا معه باهتمام، ومن خلال ثقافة تربوية جيدة .





التبول اللاإرادي

نقصد بالتبول اللاإرادي : عدم قدرة الطفل على التحكم بالتبول ليلاً في سن يُفترَض أن تكون لديه فيها القدرة على ذلك .

يشير بعض الدراسات على أن ابن الثمانية عشر شهراً يكون قابلاً للتدريب على التحكم بنفسه في الذهاب إلى الحمّام ، وغالب الأطفال يتحكمون بأنفسهم في آخر السنة الثالثة ، ولا نستطيع أن نقول : إن الطفل يعاني من مشكلة التبول اللاإرادي إلا إذا تجاوز سن الرابعة، وتشير الدراسات أيضاً أن واحداً من بين كل أربعة أطفال عانى من التبول اللاإرادي بعد سن الرابعة إلى الثامنة ، وبعد هذه السن تنخفض هذه النسبة إلى ٢ ٪ فقط لدى صغار الراشدين، ومن الجدير بالذكر أن وجود هذه المشكلة لدى الذكور أكثر من وجودها لدى الإناث .

إن التبول اللاإرادي يعامَل على أنه مشكلة بسبب التلويث الذي يحصل للثياب والفراش وبسبب الرائحة الكريهة التي يتأذى منها إخوة الطفل ووالداه ، والأهم من ذلك ما يشعر به الطفل من حرج ومن انكسار، وما يشعر به من ضعف الثقة بالنفس ، ويمكن لهذه

المشكلة أن تترك في شخصية الطفل جرحاً غائراً، ولاسيما إذا عرف زملاؤه في المدرسة ذلك ، أو عرف أصدقاؤه وأقرباؤه ، ولهذا فلا بد من العمل على معالجة هذه المشكلة بالحكمة والوعي المطلوبين .

أسباب التبول اللاإرادي :

١ـ أسباب عضوية :

قد يكون سبب التبول اللاإرادي عضوياً وذلك مثل وجود التهابات في مجرى البول أو بسبب وجود مشكلة في الجهاز البولي أو في العمود الفقري ، أو بسبب الإصابة بمرض (السكري) . وهذه الأسباب قليلة الانتشار وقد لا تشكِّل أكثر من ٥٪ من بين الأسباب التي يتحدث عنها الأطباء والتربويون.

٢ ـ سبب وراثي :

للوراثة دور مهم في التبول حيث يشير بعض الدراسات إلى أن آباء الأطفال المتبولين لاإرادياً ، كانت هذه المشكلة موجودة لديهم حين كانوا صغاراً بما يقارب ثلاثة أضعاف حالات التبول الموجودة بين آباء الأطفال غير المتبولين .

٣ـ للعوامل النفسية دور مؤثر جداً في معاناة الطفل من هذه المشكلة، وهذه العوامل عديدة ، منها :

أ ـ قسوة الوالدين في تربية الطفل والميل إلى استخدام العقوبة .

ب ـ الشعور بالنقص وضعف الثقة بالنفس .

ج ـ مشاعر الخوف والقلق، حيث إن من الأطفال من يشعر بأن مكانته في الأسرة باتت مهددة بسبب قدوم طفل صغير شدَّ أنظار الأسرة لديه ، وأحياناً يُظهر الطفل الخوف من الموت أو بعض

الحيوانات أو الظلام أو اللصوص أو الخوف من تفكك الأسرة وابتعاده عن أحد أبويه .

د ـ عدم تمتع الطفل بما يكفي من مشاعر الطمأنينة والعطف والرعاية وذلك بسبب ما يلقاه من إهمال من لدن والديه وإخوته الكبار ، لكن أود أن أشير إلى أن درجة ارتباط هذه الأسباب بالمشكلة التي نحن بصددها ليست واضحة ومتألقة بالقدر الكافي ، ولهذا فقد نجد أن الطفل يعاني من مشكلة التبول اللاإرادي دون أن نكون قادرين على وضع أيدينا على سبب محدد أو بيِّن بشكل كاف .

ما علاج هذه المشكلة ؟

١ ـ الحذر من التطرف :

إن التطرف في كل شيء غير حميد ، ومن الملاحظ أن بعض الأهل لا يعاملون مشكلة التبول اللاإرادي لدى الطفل بما تستحقه من عناية واهتمام ظناً منهم أن الوضع سيتحسن بشكل تلقائي مع مرور الأيام، وهذا الظن في محله نسبياً ، لكن إذا ظل الطفل يعاني من هذه المشكلة فترة طويلة حتى يبلغ الخامسة عشرة ـ مثلاً ـ فإن نفسيته سوف تتأثر تأثراً كبيراً ، بمعنى أن هذه المشكلة قد لا تنتهي قبل أن تترك في نفسية الطفل ندوباً مزعجة ، قد تصاحبه مدى الحياة !

هناك قسم آخر من الأسر تتطرف ، لكن في الاتجاه المعاكس حيث تجد أنها تعاقب الطفل على التبول اللاإرادي بالضرب والشتم والنعت بالألقاب الباعثة على اليأس والإحباط والمولِّدة للشعور بالمهانة ... وما دروا أنهم بذلك يعمِّقون المشكلة ، ويطيلون أمدها ، المطلوب هو الاهتمام والتشجيع ، والترسيخ في ذهن الطفل أن عليه أن يبذل

جهداً في ذلك ، وأن يعمل بتعليمات أهله ، ويتعاون معهم ، وإلا كان مقصِّراً ، وربما تكون هناك عقوبة بحرمانه من بعض الأشياء التي يحبها . المهم هو إظهار الاهتمام بالمشكلة ، وليس إظهار القلق والتوجس من استمرار المشكلة لأن قلق الوالدين ، قد ينتقل إلى الطفل ، ويؤدي ذلك إلى تفاقم المشكلة عوضاً عن حلها .

٢ـ امتناع الطفل عن شرب السوائل ليلاً :

من المهم أن يمتنع الطفل عن تناول السوائل قبل النوم بثلاث ساعات على الأقل ، ولاسيما السوائل التي تساعد على إدرار البول مثل القهوة والشاي والمشروبات الغازية .

٣ـ أحياناً يكف الطفل عن التبول في فراشه مدة من الزمن ، ثم يعود إليه ، وفي هذه الحالة فإن من المفيد جداً أن نتعرف على أسباب ذلك ، وفي الغالب يكون هناك حادث معين أثار لديه درجة عالية من القلق والتوتر والخوف ، وذلك مثل غياب أحد الأبوين عن المنزل مدة طويلة أو حدوث شجار بين الأبوين أو قدوم مولود جديد للأسرة، فانشغلت به عن غيره ..

إن معرفة السبب تساعد على العلاج ، وقد يكون من المفيد جداً جلوس الأم مع الطفل قبل النوم مدة عشر دقائق والتحدث إليه بحديث مطمْئِن ومشجع ومفرح ... إن حديثاً من هذا النوع ضروري لمنع حدوث التبول اللاإرادي .

٤ـ استحسان قرب الحمام من غرفة الطفل :

إذا كان الحمام بعيداً عن غرفة الطفل ، فإن هناك احتمالاً في أن يخاف الطفل من الذهاب إليه ليلاً ، ومن ثم فإن من المستحسن الإبقاء على ضوء خافت في غرفة الطفل وفي الطريق الموصل إلى الحمام ،

إن الخوف من الحركة في الظلام ليلاً أمر شائع جداً بين الأطفال .

٥ ـ الحذر من الإمساك

من المهم التأكد من عدم وجود إمساك لدى الطفل ، وذلك لأن الإمساك يجعل حجم البول المتجمع في المثانة قليلاً ، وهذا يؤدي إلى زيادة رغبة الطفل في البول المتكرر .

٦ـ تدريب الطفل على الاستيقاظ ليلاً :

لابد للأم من أن تبذل جهداً في تدريب الطفل على الاستيقاظ ليلاً ، وقد يكون من المناسب إيقاظ الطفل بعد ساعتين من نومه ليذهب إلى الحمام ، وإذا أمكن إيقاظه بعد ثلاث ساعات من الاستيقاظ الأول ، فهذا شيء جيد إلى أن يتعود الطفل على الاستيقاظ بشكل منفرد ، وحين يصبح الطفل مميزاً يمكن أن يوقِّت الساعة المنبهة للقيام بشكل منفرد حسب الوقت المناسب .

٧ـ المكافأة والعقوبة

المكافأة والعقوبة من الأمور المهمة في تخلي الأطفال عن العادات السيئة ، ومن هنا فإن من الجيد أن تمنح الأم الطفلَ نجمةً عن كل ليلة يظل فراشه فيها جافاً ، وإذا مضى على عدم تبوله أسبوعان ، منحته عشرين نجمة أو نقطة أو علامة ، وتُجمع هذه النجوم أو النقاط كل شهر ، ويعطى في مقابلها جائزة مناسبة ومحفزة،أيضاً يمكن استخدام العقوبة ، وإن ابن التاسعة قد يعاقَب بأن يأخذ ما تبلل من ملابسه ومن الشراشف إلى الغسالة ، ليقوم هو بغسلها ، وقد يتم خصم جزء من مصروفه الأسبوعي مقابل كل ليلة يبلل فيها فراشه ، وقد يُحرَم من الخروج مع أصدقائه .. المهم أن يدرك أن التقصير في معالجة هذه المشكلة ، له مقابل ، وعليه عقوبة

٨ـ استشارة طبيب متخصص :

ذكرنا أن من أسباب التبول اللاإرادي عند الأطفال وجود بعض الأمراض العضوية لدى الطفل ، ولهذا فإن من المهم استشارة طبيب متخصص في ذلك، ولاسيما عند إخفاق كل المحاولات التي ذكرناها .

■ الخاتمة

الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات ، والصلاة والسلام على المبعوث رحمة للعالمين نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين ، وبعد:

فقد بذلت جهدي في أن أتناول المشكلات التي أظن أنها الأكثر انتشاراً في حياة الأطفال والأكثر أهمية بالنسبة إلى الأبوين والأسر عامة ، ولعلنا لاحظنا من خلال تشخيص المشكلات ومعالجتها الأمور الآتية :

١ – ليس هناك مشكلة لها سبب واحد ، وهذا من سنن الله ـ تعالى ـ في الخلق ، فالمشكلات الكبيرة والشائعة لا تنشأ بسبب عامل واحد، ولا يمكن أيضاً حلها من خلال مقترح أو تصرف أو موقف واحد، فكلما أن الأسباب متنوعة ، فالحلول كذلك متنوعة ، ولهذا فلا بد من الصبر وتجريب أكثر من طريقة في معالجة المشكلات ؛ والأجر على الله ؛تعالى .

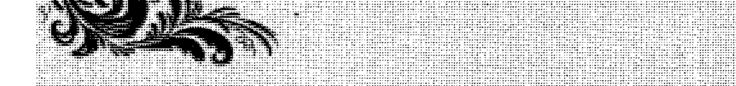
٢ـ لو تأملنا في أسباب المشكلات التي عرضتُ لها في هذا الكتاب لوجدنا أن معظمها ليس عضوياً أو وراثياً ، وإنما يعود إلى طريقة التنشئة وإلى البيئة التي يعيش فيها الطفل ، وفي هذا رحمة كبيرة من الله ـ تعالى ـ لأن تعديل طريقة التربية أسهل بكثير من التعامل مع

الأسباب والعوامل الوراثية.

٣ـ يقولون : ((درهم وقاية خير من قنطار علاج)) وهذا ينطبق على مشكلات الأطفال على نحو جوهري ، ومن ثم فإنني أعتقد أن الجهد الأكبر الذي علينا أن نبذله يتمثل في توفير بيئة أسرية صحية ، وقد أشرت في الجزأين : الأول والثاني من هذه السلسلة إلى ملامح البيئة التربوية التي ينبغي توفيرها في بيوتنا .

البيئة التربوية الصحيحة تحول بإذن الله ـ تعالى ـ دون حدوث الكثير من المشكلات التي يعاني منها الأطفال ، وهي تساعد على حلها على نحو جيد إذا وقع شيء منها لسبب من الأسباب .

إني لأحمد الله ـ تعالى ـ على ما هدى إليه، وأعان عليه في هذا العمل ، وأسأله – سبحانه – أن يدخر لي ثواب ما بذلت فيه من جهد ، وأن ينفع به إخوتي القراء ؛ إنه نعم المولى ونعم النصير .



فهرس الموضوعات



